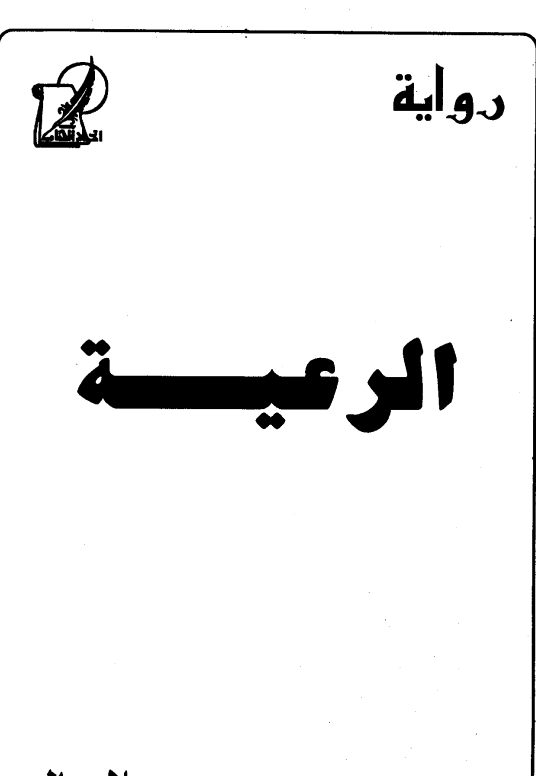

رواية
الرعيــة
صلاح والى

رئيس مجلس الإدارة :

فاروق خورشيد

مقرر لجنة النشر:

أحمد الشيخ

الإشراف العام :

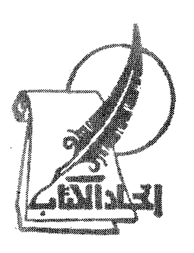
أحمد سويلم

تصميم الغلاف إهداء من :

الفنان إيهاب شاكر

باب ياتى منه الريح

الموعودون بالنداهة
المسومون بالغواية
أولئك هم ملح الأرض
وبهم يتم اتزانها... صلاح والى ١٩٩٨



(١)

لم يكن سلومة وهو يرفع رأسه أمام كل تجمع يقف فيه رجاله يدرك أنه هو المسئول عن هؤلاء البشر فقط، ولكن وطوائف أخرى من البشر (من الأولاد والرجال والنساء والصبيان وأعداد لا حصر لها من الخراف والمعيز والإبل والحمير والغزلان) (ربما يتصور القارئ أن الغزلان جاءت لتكملة النغم مع الصبيان ولكن لا والغزلان حقيقة) ربما كان يتصور فنحن لا نعرف قبل الآن من هو سلومة، ولكن منذ أن عرفت فأصبحت لا اقتنع بعدم تصوره، ولكن ربما لم يكن أحد غيره يتصور أن سلومة هو المسئول عن البشر والمعيز والخراف والنباتات فى الحقول وعن أحلام وأمانى كثيرة عن الزواج وشراء البيوت والقراريط والسفر إلى السعودية والعين والكويت والبحرين (ربما سميت البحرين لان اقتصادها يقوم على استغلال الميناثين)، كل هذا جعله يرفع رأسه قليلا عند استراحة ٩ بالطريق الداخل إلى الفيوم، ويطلق صفيرا رفيعا فتتوقف العربة وترتفع الرؤوس من وسط حقول القطن والذرة الرفيعة حذرة ثم بلا رابط

اها اااههيـــــــــــــه،

تلك صيحتهم وهذا انفتاح البراح لبدء موسم العمل والكسب واستقبال أبناء بحرى.

كان هذا ما شاهدته ونحن مع سلومة فى طريقنا إلى الفيوم لفرز عسل النحل.

(٢)

تأملت حظوظ وجمايل وأهداف مسيرة الحياة العسيرة على الأولاد فقررن نبذ العنف والسعى إلى السلام ككل الدول الكبيرة وقررن أن يكون السلام تحت مظلة راعيه ودافعه إلى الأمام سلومة، وأخبرنه فتزوجهن، وليلة دخلته عليهن سافر إلى الشرقية لنقل النحل من فرسيس الى عزبة كعك بطريق البركة.

وتعثرت قدم سلومة بمن علمه العشق فهوى فى هوى امرأة من عزبة مسيحة فخطفها وتزوجها بكفر الإشارة بالزقازيق وعاد بها صباح دخلته ليقدمها إلى نسائه الثلاث واكتمل العدد وكان اسمها تمام.

تذكر سلومة (وجل من لاينسى) أنه يعول عائلة وله أولاد؟

قل ما الذى يمكن أن يفعله سلومة؟

ربما جال بخاطره صورة الزعيم وهو يلوح للرعية من وراء الزجاج المقفل للطائرة.

ربما لم يدر بخلده شيء فسلومة كنز لم نستطلعه بعد، ولأن سلومة يحب الرعية، ولأن الرعية تحبه فلابد أن يكون الالتقاء بالجماهير حميماً ولاصقاً.

أو ربما مر بخاطره حالات شديدة الوطء والملتصقة جدا.، كحب الزعيم لبلاده.

يروى سلومة فى مذكراته التى دونت على الجلود والعظام وقوالب الطوب الأخضر، أن الجماهير ليست هى الشعب، وأن الشعب، كلمة تخص الحكومة كما يخصه سرواله،

وأن الجماهير هى تلك الكتل الغوغائية التى تقف عادة ضد مصالحها وتدافع عن جلاديها من أجل مكاسب وقتية بسيطة، وأنها رصيد لكل الأفكار والمذاهب إذا ما اعتلى إحداها السلطة ولو غصبا،

أما الشعب فذلك شيء أخر، فليس هناك انتخاب نوعى يمثل كل طبقة فيه من يخرج عنهم حاملاً أحلامهم ولكنه تجميع هلامى/ أعاذنا الله منه/ تستعمله أى حكومة كعكاز يحمل أخطاء حكمها، فالشعب قال، الشعب فعل، باسم الشعب، من أجل الشعب،

وعلى رأى سلومة أنا من الشعب ولم يأخذ أحد رأى فى أى شيء من الثورة العرابية حتى الآن، ولذلك فيرى (سلومة) إن هذا الشعب سيم بين الحكومة وأعضاء مجلس الشعب حيث أن من يُنتخب منهم يتغير حاله ويصبح غير ما كان،

لهذا فإنه لابد أن يرتبط برعيته ارتباطاً وثيقاً كعقدة الحبل والنكاح شديد الوطء.

فلا يكفى أن يتخير للمرأة زوجها ويتابع بأمانة حركة الحمل والولادة، ولكن يدبر لهم أعمالهم، وعدد مرات الجماع وأسماء المواليد والعمل والتعليم،

لكل هذا الهم الكونى الذى يقع على رأس سلومة رأى أن يطلق صفيره الرفيع عند استراحة ٩، وكانت العربة قد توقفت عند استراحة ٩،

ولما علمت النساء بمكره معهم وحضوره بزوجته الجديدة الى البيت (الذى به ثلاث زوجات لم يدخل بأى منهن) قلن فى عمق سرهن طيب ياسلومة!

ولما رأين زحف الرجال والأطفال والولدان إلى حقول استراحة ٩ قدرن ما يحمله سلومة على عاتقه... أو كاهله / والحقيقة أن صيغة سلومة ليس لها كاهل أو عاتق فكله بملابسه وبالافتراض الحسن للنوايا لشخص لايفهم فى وزن الأشياء وكليل النظر يزن سلومة ومن معه عشر أوقيات/

ولكن هذه أبسط طرق التعبير فليحمل سلومة على كاهله أوعاتقه مسئولياته من أول ميلاد الأطفال حتى الوصول بذرياتهم إلى أنقى درجات الرقى والمنعة، لكأنما هو الجيتو (إذن لايفل الحديد إلا الحديد).

كذلك لم تكن زيارات سلومة للوجه البحرى من أجل مكاسب مادية بسيطة له ولمن حوله!

ولكن لسبب بعيد لايعرف مداه إلا الله / ربما لو سُئل الدكتور سيد عويس لقال:

ولأن سلومة من قرية مصرية خالصة المصرية لا يشوبها أى تلوث تاريخى فبقى بإذن واحد أحد نقى السلاسة طيب العشرة يؤرقه ما يؤرق المنشغلين بالبعد الكونى ومخاطبة وتلقى الرسائل من العوالم الأخرى،/ لكل هذا فربما يكون سلومة يحاول توحيد القطرين أو توحيد الديانات أو تخليق ما يسمى بالعنصر النقى من المصريين الأوائل، وقد يكون صاحب نظرية قوية فى تخليق السلالات، خاصة بعد القصائد الكثيرة لشعراء السبعينيات وما بعدها بخصوص السلالة، فراح يجوب الآفاق بحثا عن ذكر وأنثى أنقياء لبدء مشروع السلالة، وإن كانت محاولاته قد بدأت منذ أعوام بمحاولة تنقية الماعز ولكن لايفوتنى أبداً أن أشجع تلك الجهود، حتى لا يفت فى عضده تلك المحاولات الكونية للاستنساخ وكأن العالم قد بات يتآمر على محاولات سلومة لتنقية السلالات،

فهو لم ينس أبداً السرقات المتتالية للدواجن التى نقى سلالاتها حتى صارت لدينا السلالة الفيومى، وكذلك جهوده فى البط والأوز وإن كانت لم تكتمل بعد ولكنه مستمر،

ولا يمكن أن توقفه المكائد الصغيرة فلم يتوقف عن انتخاب سلالاته عندما حدثت أزمة خليج الخنازير، فهل هناك من يشى به أو يخونه

أو يتجسس على محاولاته؟ لأن العالم ولا يخفى عليكم يتحكم فيه شعب هجين قام على اغتصاب الأرض هو الشعب الأمريكى المحتل لبلاد الهنود الحمر أشقاء سلومة فى بدء الخليقة لهذا يصبح خوف سلومة مبرراً فى محاولته اللجوء إلى السلالة النقية.

● محاولة من جانبنا لتبرير تصرفات سلومة ●

منذ أن أبصرنى سلومة وأنا أجهز النحل فى فرسيس وأخبرنى ربما مصادفة أن الكى والحجامة الفصد والتفويت كلها طب الفيوم وأكد ثانية أن الأطباء جاهزون لمعالجة الغرباء، وقد أكد لى مصطفى خليفة ونحن بمدرسة الزراعة بالفيوم عام ١٩٦٩ فى شهر نوفمبر بحقيقة هذا الموضوع، لهذا فقد أخذنى سلومة إلى كفر ظالم وإلى البرم وإلى العرب ودمو ووادى الريان والجبل ورأيت تفويت السلك فى صوان الأذن وفى الظهر وكذلك فى عقب وعرقوب القدم والكى على الجانبين، واستخراج الدود من العين والأذن والتشرط على جانبى الصدغين، ومكان يخص التناسل للحامل والعاقر، وكذلك الرجل وكيه بالنار على الجانبين من الورك// كان يمكننى أن تكون الصياغة فنية كأننى مشارك فى هذا الحدث ولكن لم أنفعل به لحدوثه لغيرى فوثقته لكم كما هو//

ولكن سلومة لم يحاول فتح أى موضوع للمناقشة معى أو إثارة أى قضية كما لم يناقش معى مشاكل الأقليات.

ولكنه أكد لى أنه ضد استيراد ملكات النحل من الخارج وأن هذه المصادر غير صادقة وإن كانت.... فمن الأفضل الانتخاب المباشر وتأصيل ملكة من النحل المصرى وتحسين سلالته.

قد يكون سلومة قد حسبها بالطول وبالعرض ولم يجد حلا لفقره فقرر أن يزاحم الميراث بالورثة؟

أو ربما يكون شخص عادى جداً أو أقل ونحن الذين نتوهم ذلك، أوربما قد منحه الله من البصيرة مالا نعرف ولهذا فهو يرى؟

هل نجحت كل هذه التبريرات لمعرفة ما يفعله سلومة، ذلك المنطلق الكونى فى أنحاء البشر؟

وإذا كانت هذه التبريرات حقيقية أو غير حقيقية فما هو الإغراء الذى يجعل نساء مثل أهداف وحظوظ وتمام وسيادة يخضعون لسلطة الحكم الذاتى لسلومة طواعية دون تبرم؟

نحن لا نحاول أن نحمل الرجل أكثر مما يحتمل ولكن هذا هو ما كان.

فما الذى يمكن أن نبرر به تصرفات السيد سلومة؟

هل اختلال عقلى؟

الزهق من المعيشة؟

محاولة التغطية على عمل ما، وماهو هذا العمل؟

إلى هنا انتهت التبريرات التى يمكن لنا أن نقدرها فى حالة كحالة المذكور أعلاه بالتقرير الذى أمامنا السيد/ سلومة الكائن فى قرية البرم.

(عود على بدء)

يذكر السيد سلومة بصوته الواهن لحظة خروجه من الماء محاطا بالبوليس والخفراء عارياً كأنه سيلقى حسابه فى هذه اللحظة، قال لى:

قلت ربما لأنها المرة الأولى فى حياتى التى يمس فيها الماء جسدى؟ أو ربما / والبوليس يعرف كل شىء.. طبعا / جاء لمعاينة شىء ما لايراه أحد ولكن تحس به زوجاته ويصرخن فتأتى العيال؟ كما يذكر انه لم يمكث طويلا داخل قسم البوليس والذى شاهده ولأول مرة فى حياته، وعندما عرف مايقوم به قال لهم: وأين المجالس العرفية وقعدات المصالحة؟ فأفرجوا عنه بدون ضمان محل الإقامة.

قال سلومة: ليست هذه أول مرة أتعرض فيها للحكومة فعندما مات جمال عبد الناصر كنت فى القاهرة وسمعت الناس تبكى وتنادى عليه (سيبنا لمين من بعدك) ؟؟؟؟؟؟

صحيح انه راع وكل راع مسئول عن رعيته إلا أننى عندما قلت لهم: عيب كده، شوفوا مصالحكم والحى أبقى من الميت، ولايصح أن نطلب من الميت أن يغيث الحى.

أخذونى / بعيد عنك / فى لازغولى وبهدلونى أعلى بهدله فلم أنطلق وعندما قالوا لى كيف تقول ذلك؟

قلت لهم عندما قابلته قال لى: عندما أموت ياسلومة فلا تدع أحدا منهم يزعجنى وأنا كتبت كلْ شىء

عندها قالوا لى: أين ما كتبه؟.

قلت لهم: لا أعرف ولم يكلمنى بعد ذلك

- أين كان هذا اللقاء؟

- عند ترب الخفير

- من كان معكم؟

- الحاج محمد الظواهرى الله يرحمه

- يرحم من؟

- الحاج محمد

- كيف يأتى من مات معكم؟

- والله لا أعرف ولكن عندما قمت من الحلم قرأت لهما الفاتحة

عندها انهالوا علىّ ضرباً ثم أخلوا سراحى وظلت المراقبة علىّ مستمرة حتى بعد موت الرئيس المؤمن. كل هذا وأنا إلى الآن لا أدرى لماذا قبضوا علىّ أصلاً.

(٣)

وقفت العربة ٣١٨٨٨ أجرة شرقية شفورليه نصف نقل أمام استراحة ٩ فى طريق الفيوم وبعد حوالى نصف دقيقة بالتمام والكمال ودون أن ينظر إلى أحد أشار بيده إليهم أن اصعدوا، بعدما أطلق لهم صفيره الرفيع .

صعد الرجال على سطح العربة كل يحمل (وش لزوم العمل فى النحل) وبعضهم يحمل المدخنات وأشعلوا سجائرهم

حمد لله على السلامة ياسلومة

تمتم سلومة بكلمات وتنهد ثم قال: طريق البركة

لم يكن سلومة يدرى اسمه الحقيقى إلى أن ذهب مع أبيه لاستخراج بطاقة شخصية له من السجل المدنى بالجيزة فقد كانت الفيوم من أعمال مديرية الجيزة فاكتشف أن اسمه الحقيقى عبد السلام وعندما حكى سلومة تلك الواقعة أمام الحاج كمال قال له والله نحن فى نعمة لا نقدرها، الواحد يذهب إلى السجل المدنى ويستخرج بطاقة شخصية يعنى الدولة تعترف لك بأنك شخصية فيها مثل رئيس الجمهورية، عندما كنا نعمل فى السعودية كانت لنا بطاقات إقامة، أما السعودى فله بطاقة اسمها تابعية أى أنك تابع من أتباع الأسرة المالكة التى أطلقت اسمها على البلاد وكأنها من أملاك أبيها، وبالتالى فالأولى أن تطلق أمريكا اسمها على كافة المملكة لأنها هى التى أحيتها بعد اكتشاف البترول، ولاتخضع لهذه

الهيمنة كل من مكة والمدينة لأنهما من المقدسات.

تنهد الأستاذ أحمد وقال: الإسلام دخل الرياض بعد سقوط الأندلس ياناس.

* * *

كانت العربة قد توقفت ونزل السائق، فأشرقت الشمس بنور ربها وبدأ الاستعداد للعمل // كان اليوم ٢٤ /٧، وكانت درجة الحرارة المعلنة فى الأجهزة الرسمية ٣٨ والمسجلة فى الظل على الطبيعة ٤٤. ولكن من يكذب الحكومة//

استعد الرجال للعمل ووصلت العربة إلى أول منحل سيتم فرزه وتم توزيع المسئوليات ووضعت الفرازات فى أماكنها، ووضع المنضج، وتم تجهيز الصفائح، لبس كل واحد منهم ملابس العمل بينما لف سلومة الوجه السلك ودخل فى القناع، أشار بيده فانطلقت الأقدام والأيدى تفتح الخلايا وترفع البراويز وتنفض النحل وتحمل الشهد فى الصناديق، بينما يستقبل من بالغرفة البراويز بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على النبى، تكون الأيدى الأخرى تكشط خاتم الشمع وتضع البراويز فى الفرازات وتدار الفرازات وتفرمل وبالطرد المركزى يتناثر العسل قطرات من الشهد على جانبى الفراز ويتجمع اسفل الدولاب حتى يلامس بارتفاعه قعر الدولاب فتنطلق الصيحة (لامس) عندها يتأكد أحد الرجال أن الشاشة مربوطة على فتحة المنضج وتبدأ التصفية الأولى للعسل.

استمر العمل هكذا حتى منتصف النهار ثم أضيف إلى عملية الفرز عملية إرجاع البراويز إلى الخلايا.

وعند آذان العصر قال المعلم مشمش: باقى الثلث.

نشط الرجال تحت مطارق نداءات سلومة بالهمة، فيجب الانتهاء من الفرز قبل الساعة الخامسة والنصف وقد كان.

* * *

بعد أن وضع سلومة العسل فى الصفائح فرشنا أوراق الجرائد على الأرض وفردنا الغدا (وجبة الغذاء) وبعد الشاى والمعسل والذى منه، تناول سلومة ملابسه وأخرج منها النقود وأعطى من ينادى عليه منبها عليه بالتواجد صباحا للفرز فى عزبة ظالم، ثم أعطى صاحب الأرض صفيحة عسل ومائة جنيه.

وناول كل عامل كيلو عسل وحمّل العسل على العربة وركبنا وسارت بنا العربة خطوات فقال سلومة:

- مسافر أو بايع

- مسافر أو مسافر؛ كل مرة تسأل نفس السؤال وأقول لك نفس الكلام

- بشوقك الإنسان يغير رأيه أحيانا

- صحيح؟؟ كل الكلام صحيح

- تأخذنى على قدر عقلى؛ على كل حال ننام إلى الصباح والصباح رباح

كانت الفكرة قد اختمرت فى رأسى فوافقت على المبيت



(٤) صباح يوم المبيت

-

يا أهل شكشوك

يا أهل كعك....

يا أهل سنورس

يا أهل الغرق

يا أهل ابشواى المقدس

يا أهل فانوس وطامية

هؤلاء شهداؤنا أخذ منهم البوليس وحصد وأكل وشرب وقبض وهرب؛ لم يأت ذكر لقضيتنا ولا عرف بها أحد من الناس؟ أمامنا لنشر قضيتنا وتحقيقها خطوات: -

١- التعليم والتدرج فى جميع مراحل الديوان الحكومى بأجمعه

٢ - التدريب على السلاح والتطوع فى صفوف الجيش فى كل المستويات

٣ - الارتباط بنسب مع أقوى العائلات والاقتراب من عائلات السلطة الظاهر منها والباطن

٤ - التمكين بالحصول على المال بكل الوسائل وشراء العقارات والأراضى الزراعية

٥ - السيطرة على الريف وعمل مشروعات بسيطة ومفيدة فقد أثبتت التجربة أن جمعية دفن الموتى التى أرادها الناس لأنفسهم كان لها أعظم الأثر من مشروع قرية الأطفال الذى نفذته الحكومة

٦ - الترشيح فى كل المستويات النيابية وعضويات التنظيمات االشعبية والعرفية والحكومية

٧ - توسيع (العمل على اتساع وجودنا) بمعنى أن نكون فى كل مكان

٨ - التميز: بمعنى أن يكون لأولادنا نفس الأسماء فى كل مكان نحن فيه ونسمى الزوجات بأسماء من صنعنا

ملحوظة: لم تكن تحويلات الأولاد العاملين فى الخارج تكفى للعمل هنا كما هو متوقع.

يمكن تسفير عشرة أطباء وخمسون مدرسا ومائة ممرض وممرضة

٩ - الرياضة واكتساب مهارات الاشتباك لكل فرد، لكن نحن فى أوان أن نظهر مقهورين

١٠ - تحدد على الخريطة تسع مناطق لبدء الرعية من بينهم المنطقة الأساسية والتى لن يكشف عنها إلا للأمراء.

لم أصدق نفسى وأنا أستمع إلى هذا السلومة وأدركت أن السماء قد وضعتنى فى مواجهة ما لم أحلم به، ولم أندم أنى لم أنم ليلة أمس وأننى بت أراقب سلومة حتى الفجر وخرجت وراءه عبر الحقول لأرى مالا يخطر لأحد على بال وأعرف أن سلومة ليس هو سلومة الذى نعرف؟

وكنت قد شككت فى الأمر من العام الماضى حيث لاحظت أن كل الأمور تبدأ منه وتنتهى إليه فى كافة بيوت القرية، كما أن نظرة واحدة تكفى، ولا أمر يكرر، ولا يقف أحد منه موقفاً مضاداً، ولاتراجعه زوجة أو قريبة أو غريبة إن كان هناك أغراب فى هذه القرية. فى الحقيقة تغيرت حالتى كما يغير النظام فى الحرب وأصبحت لا اعرف ما قيمة الحياة إذا لم نحياها لهدف ما؛

هل وقع سلومة فى طريقى ليعلمنى مالم أتعلمه بالجامعة والسجن والحياة؟

أى كائن كان هذا السلومة؟

ربما هبط من السماء (دعونى أرخى الزمام لهذا العقل الذى ظلمته معى كثيراً)

* * *

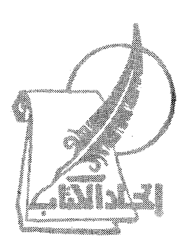
آه منك ياسلومــــة؟ كل هذا هو أنت إذا - لاحــول ولاقــوة إلا بالله - استدرت على عقبى،

(يمكن للإنسان أن يستدير على أطراف أصابعه كما حدث حقيقة فى حالتى هذه ولكن هذا هو التعبير الذى التصق بنا من التعليم وخفت إن أقول غيره أتهم بالحداثة وهى عند البعض مرادفا للنجاسة)

عدت أتأمل ما حدث ولا أشك لحظة فى حدوثه فالنهار على وشك الطلوع والنصوع بالشمس الحارقة، جاء على خاطرى شعرا فقلت:

قل ماالذى أغرى بك الدنيا التى لاتنتشى أبدا ولو غنى على أنغامها زرياب؟

عدت فعاد سلومة وقامت الزوجات بالواجب وتم الإفطار والشاى والمعسل وركبنا العربة وقبل التحرك تركت لسلومة صفيحة عسل أخرى (ربما مشاركة منى فى أن يكون له هدف حتى لو كنت ضده فهو خير من الشباب الذى بلا رأس)



(٥)

العربة الآن على مشارف القاهرة وأنا لم أتكلم مع أشرف السائق كلمة واحدة هناك شىء ما، وكنا فى طريقنا عائدين بالعسل من الفيوم على أمل الرجوع لتحميل النحل، وكنا قد حملنا العسل معنا وحاسبنا سلومة وودعنا وانطلق بالرجال إلى عزبة ظالم لاستكمال فرز باقى المناحل / هناك شىء ما قد اهتز داخلى وأسئلة كثيرة تترجرج كاللبن الحليب فى صدرى.

هل أستطيع حفظ سر سلومة؟

أم أننى وأنا الثرثار سأقول؟ وإذا كنت لم أنطق وأنا بالسجن ما الذى يخيفنى الآن؟

ربما السن فأنا أبلغ الآن خمسون عاماً

قال أشرف: القاهرة أم الدنيا يا أستاذ.

قلت له: ياسلام أم الدنيا؟ ومن أبوها؟

- يعنى المهم نستريح فى شارع فيصل

- وهو كذلك

استدار أشرف وركن العربة فى حارة بها فرن بلدى تقابل قهوة الأمراء وجاء؛ وجلسنا وشربنا الشاى والمعسل والقهوة السادة وحمدنا الله الرزاق واستأنفنا المسير.

تأملت الناس فى الشوارع ....لاتدرى بما يعد سلومة ويخطط له وعربات الفول (ذلك المسئول ظلما عن غباء البعض) هى الغذاء الرئيسى للبشر تعمل ليل نهار فقد تركناها ليلا تعمل وطلع النهار وأصبحنا قرب صلاة العصر فى اليوم التالى ومازالت تعمل.

وفى طريق الخروج من القاهرة (هل سميت القاهرة لأنها تقهر من يحبها؟) قال أشرف: أشهد أن لا إله إلا الله

ـ خيراً يا أشرف

ـ الواحد منا يحمد الله عندما يخرج من وسط البلد المهم الباقى سهل يعنى قول وصلنا

ـ لكن إيه رأيك فى سلومة يا أشرف؟

ـ عسل.. سلومة عسل والله العظيم راجل بركة أهبل

تأملت هذا الأشرف الحيوان الذى لايفهم أى شىء وقلت سبحان الله والله هذا غباء منى أن أسأل أشرف عن هذا القائد العظيم سلومة (ربما سيكون سلومة هو إعادة للمهاتما غاندى؛ أو جورج واشنطن أوأى زعيم كبير لاندرك قدره إلا بعد فقده)

ـ لكن بتسأل ليه؟

ـ هبل بعيد عنك يا أشرف

وصلت العربة إلى البيت وقمنا بإنزال العسل وسافر أشرف ليكمل توزيع العسل وتوصيله إلى أصحابه المباع لهم.

وظل سلومة حبل الفكر الممتد بين الفكرة والتطبيق.

كان سلومة هو تجسيد لفشل ثرثرة السبعينيات وادعاءات الأربعينيات ولم يكن من أبناء ماو أو جيفارا ولكنه بن الواقع الحى وظل السؤال كيف استطاع؟.

(٦)

كانت نتيجتى فى الإعدادية ملحق لمادة الدين، فحلفت بالدين أننى لن أجعل المدارس كارى واشتغلت على سيارة أبى الميكروباص وفى ظرف سنوات كانت عندى سيارة شفر وبيجو، وبيت وزوجة مدرسة فى كلية الطب دكتورة يعنى وعملت لها عيادة أعلى مستوى بالقيشانى

- ....

- سارح يا أستاذ ؟

- أبدا يا أشرف، لكن المهم أنت سعيد

- مية فى المية يا مملكة، انضف لقمة وأحلاها أكل أعلى بنجو وأكبر كيف والمزة يا باشا، أى امرأة عايزة القرش والمزاج وبس قفل على كل المواضيع

- يعنى ما هو هدفك فى الحياة، يعنى أملك إيه ؟

- جرى إيه يا باشا مش فاهم قلت لك أحلى أكل والمزاج واجدع مرة وكله تمام تقوم تقول بالنحوى هدفك وأملك، وبقالك ساعة بتقطم فى، إيه النظام بالظبط، حقد أو قر أو عدم المؤاخذة حسد (ومن شر حاسد إذا حسد).

- يا سيدى أنت فهمت غلط يعنى مثلا وأنت فى الجيش كنت موجود وتتدرب من أجل الحرب والحرب من أجل استرداد أرضنا المحتلة ومساعدة فلسطين فى استرداد حقها.

ـ والحمد لله خلصت الحرب وخدنا أرضنا ولو أنى مش مستريح قوى لان إحنا بقينا أصحاب كده وكده يعنى، وهذا ظاهر فى رأس سدر وشرم الشيخ وطابا ولكن الحمد لله الحرب خلصت يا شيخ وعندهم نسوان مية مية.

ـ فهمت سؤالى ما هو هدفك فى الحياة ؟

ـ لكن صحيح حكاية الإيدز ؟ يعنى الإسرائيليات عندهم إيدز ؟

ـ ممكن طبعا

ـ يلعن أبوهم توبة يا جدع

ـ مالك يا أشرف ؟

ـ أصل ..... مش مهم، بص معى يا أستاذ من الواقف تحت الكافورة البعيدة ؟

ـ سلومة، قف بالعربة عنده

كان هذا اللقاء الأول لى مع أشرف من بعد عودتنا بالعسل من الفيوم ومضى شهرين من يومها، ونعود اليوم لأخذ باقى العسل وتحميل النحل إلى الشرقية.

حسب الأحوال والجو والدبور.

(٧)

عندمـا رأيت سلومـة على الطريق لست أدرى مـا الذى جـعلنى أتذكـر (كافكا) هل لأنهما نقيضان؟ تلك هى المسألة،

وصلت السيارة بالقصور الذاتى حيث يربض سلومة وأعطيناه التحية فتمتم بكلمات وسلم علينا

ـ إن شاء الله تحمّلوا النحل العشية ؟

ـ آخر أخبار الدبور ؟

ـ لسه بدرى موجود لكن قليل

ـ نترك النحل نهمله لأول الشهر؟

ـ بشوقك

ركب بجوارى واتجهت العربة إلى بيت سلومة وأحضر الطعام والشاى والمعسل وحملنا باقى العسل

ـ نسافر إن شاء الله

ـ السواق ينام ساعتين

وعندما التفت إلى السائق وجدته فى سابع نومة.

ـ الأمر لله

سبحان الله فى طبع الآدمى سليل الإنسان وابن شهوته وعذابه، لا يقنع بشىء ولا يملأ عينه إلا التراب.

أنت لا تعرف سلومة ولا تعرف أشرف؟ كائنات أمامك ولكن ماذا وجدت عندما انكشف الغطاء قليلا عن سلومة؟ الحمد لله والشكر لله، الإنسان أبو الجهل، والحياة أم التجربة والخبرة والتعلم، والكلام الفارغ لا مكان له فى الدنيا ولا عمل له إلا هرش الدماغ.

هل يبحث سلومة عن تمييز ما يجمع به شتات قبيلته؟ ثم لماذا كل هذا الإعداد لكأنما الدنيا بأسرها تنتظر سلومة؟

ما هى متطلبات سلومة وأهله وعشيرته؟

كان بودى أن أصارح سلومة وأخبره أننى رأيته يوم المبيت عنده فى الصباح وهو ينادى على سكان كل مكان وإدراج جميع بنوده لهم، ولكن خفت أن أسقط من نظره وأصبح جاسوسا مثل الذين تآمروا على سلالات الدواجن.

أيام وليالى وأنا أحس أن ما تعلمته فى أروقة الجامعة وسراديب السياسة التحتية والعلنية لا يجيب عن سلوكيات سلومة لدرجة أننى أشك فى نفسى و أقول انه من شطح الخيال.

وأخذنى التفكير إلى أن صحا أشرف من نومه وشربنا الشاى بعد أن حملنا باقى العسل وتركنا النحل لأول الشهر، وغادرنا البرم ونساء سلومة وأولاده يطلقون علينا أصوات الرجاء بالعودة فى العام القادم إن شاء الله.

انطلقت بنا السيارة فى طريق العودة وأنا أريد أن أنام أو أرمى دماغى من الشباك، ولسبب أو لآخر سار بنا السائق فى اتجاه غير الذى أعرفه

ـ خير يا أشرف

ـ أبدا أسلم على عمتى فى الضاهر على الواقف.

سارت بنا السيارة حتى توقفت ونزل أشرف وغاب عنى. ياسلام هذا هو الضاهر حيث كنت اسكن بعد سكنى الأول فى الباطنية.

فصل من أيام زمان

عندما فتحت الشباك للمرة الأولى وكنت عائدا من الكلية، كنت لم انس أن الرجل ذو اللحية قال لى فى أول يوم سكن افعل كل شىء ولكن لا تفتح الشباك. ولو كنت متذكراً فالجو فى سبتمبر حر قوى فى مصر وليس للحجرة ألا هذا الشباك، ثم ان الرجل طيب وانا لم أره أبدا من يومها. ولكن لم اتذكر شىء فالدراسة فى كلية علوم الأزهر شىء لا يتحمله بشر أو إحساس أو عقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون على هؤلاء الناس يا شيخ ولا يمكن التخيل أو الوصف ولكن ليس من ذاق كمن سمع.

كنت منطرحا على الكنبة عائدا من الكلية ومعى علبة الكشرى وكيس المخلل وعرقى يشر على الأرض وفتحت أل........ شباك أهوى الحجرة، فى تلك اللحظة التى بين التنقيط نطت فى مخيلتى رؤية المكان فوقفت على حيلى ونظرت من الشباك.

سور واسع مهجور وفى وسطه بيت قديم وكان الله بالسر عليما والسور يلف ويدور ويناور حول منطقة أرض بور لا تصلح إلا أن تكون منطقة مهجورة أو مستوقد زبالة

ـ انزل

التفت وجدت صاحب البيت بلحيته البيضاء يقف على باب الحجرة

ـ أنت معنا من خمسة شهور فلماذا تخالف ما اتفقنا عليه؟

دفعه رجل غريب من خلفه ومعه رجال يحملون أجولة وقال لهم دون أن ينظر إلىّ

ـ ضعوها هنا تحت الكنبة

وبعد أن انصرفوا التفت إلى

ـ يكون آخر يوم من عمرك إذا فتحت جوال واحد أو قربت ناحيته

وانصرفوا فقال صاحب البيت

ـ اسمع الكلام دول أمانة

لم ارد ولم يرد صاحب البيت وافترش الصمت مساحة كبيرة بيننا إلا من سؤال رفيع مر بجوار صاحب البيت ولكنه لم يرد ـ ما هذا؟

قال صاحب البيت: قلت لك لا تنظر من الشباك،

ولكن الأمر أصبح أكثر مما أتوقع وأكبر وأدركت أنها القاضية فتشعلقت فى جلباب الرجل وكنت أحس تكة سرواله تحت قبضة يدى

ـ فى عرض النبى ياحاج

ـ هؤلاء ناس بركة يحجون كل عام ولكن يزعلون من الذى لا يسمع الكلام

خرج الرجل وتركنى أنظر إلى الكشرى أتحسر ومددت طولى على الكنبة ونظرت إلى بلاط الحجرة فنادانى ظل الوقت فقمت وخلعت ملابسى ولبست الجلباب وتوضأت ووقفت إلى الصلاة وبكيت (اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس إلى من تكلنى إلى عدو ملكته أمرى أم إلى غريب يتجهمنى لكن رحمتك أوسع لى من غضبك....... إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى أنت رب المستضعفين....... أعوذ بنور وجهك الكريم الذى صلح به أمر الدنيا والآخرة ....) وبكيت حتى ابتلت السجادة وأنهيت الصلاة

ـ يا أحمد

كان أمامى بشحمه ولحمه وشعره المسبسب المفروق من النصف فهتفت

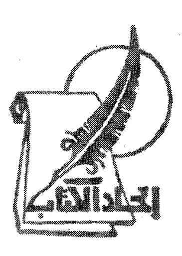
ـ أنور وجدى!

ـ الباشا منتظرك من بعد المغرب

ـ حاضر حاضر

قلت فى نفسى ربما لا يكون هو ولكن للحقيقة كان يشبهه تماما وليتنى كنت تماما فى اللغة الإنجليزية لا أعرف لماذا نشروا صورته فى المجلة الأجنبية ولماذا يعتبر الجماعة أن المجلة من المنوعات؟

وبعد صلاة المغرب لبست القميص والبنطلون ووقف على باب الكون ألحقت دعائى بآخر الشفق (اللهم إنى أمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك إنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك) وخرجت برجلى اليمنى من باب الحجرة فوجدت أنور وجدى فى انتظارى. أخذنى من يدى ودار بى ولف فى كل الشوارع حتى دق الباب وفتح الباب وكنا فى مواجهة البيت القديم وعند الباب خرج لنا رجل بلحية بيضاء أيضا ولما اقتربنا فتح الباب ودخل أنور فدخلت.



((الدخول فى الممنوع))

كانوا فى تمام الكمال وجمال البهاء بجلابيبهم البيضاء ولحاهم السوداء ومن حولهم القطيفة الحمراء قال واحد منهم

ــ اجلس يا أحمد، أنت فى كلية العلوم جامعة الأزهر، ومن الشرقية مركز ههيا و............. البهائم شرك مع إبراهيم أبو أحمد............ الأرض إيجار بالنصف............ الخ..

ــ المطلوب

ــ أن تعطى أولادنا درس فى العلوم؛ يمكن أن نحضر لهم أساتذة من الجامعة لكننا نريدك أنت، بالتالى لا تحمل هما لأى شىء لك أجر على إعطاء الدروس ومعيشتك على حسابنا هذا هو نظامنا، خذ.

مددت يدى كانت عشر جنيهات مصرية آخر مرة رأيتها فى يد التاجر كانت فى موسم القطن الماضى ولكن الله أراد ولا راد لمشيئة الله.، (كان راتب خريج الجامعة فى ذلك الوقت هو ١٦ جنيها مصريا ماركة أتعهد البنك المركزى بأن أدفع لحامله ما قيمته.... والآن لا يتعهد أحد / يمكن الصبح تلاقى الفلوس ليس لها أى معنى أو قيمة/ وكان التعيين بعد شهرين من إعلان النتيجة) لم أتكلم وتسلمت الفلوس والتفت للخروج فامسكنى من ملابسى فقلت فى سرى لماذا يا أنور وجدى؟ ونظرت إليه فلم يكن هو فجلست فى مكانى فأعطانى واحدا منهم تفاحة. وكانت المرة الأولى فى حياتى التى أتعامل فيها مع التفاح وجها لوجه وللأمانة فمازالت الجوافة أطعم وألذ عندى !!!!

وعندما هممت بالانصراف أعطنى الرجل لفة كبيرة وقال: غدا سنرسل إليك من يأخذك إلى الدرس

قلت له غدا الخميس أسافر الى البلد ومن يوم السبت ان شاء الله نبدأ.

عندما عدت الى الحجرة كانت اللفة تحتوى على أرز مطبوخ ومكرونة وبطة، أكلت وتأملت وحاولت أن أفسر ولكن غلبنى النوم.

فى الصباح سافرت أعطيت البنت سنية أم شحاته ثلاث جنيهات وقلت لها: عايز فطيرمشلتت بالسمن الفلاحى يابت.

ضحكت وقالت: للناس بتوع مصر؟ جواز يعنى.

لم أرد ولكنها أجادت الصنع وغسلت الهدوم فهى زوجة أخى وسافرتُ إلى مصر فى قطار الثالثة والثلث.

ذهبتُ إليهم وحيدا يوم الجمعة بالليل وخبطت على الباب ولكن بعد فترة فتح الباب وأدخلنى رجل بدون لحية فقدمت لهم الفطير وقلت: أكله فلاحى على ما قسم

تبسموا ولمس يدى من خلفى شخص التفت له كان صاحب البيت لم أجد ما أقوله فقلت: السلام عليكم

وخرجت ومعى صاحب البيت الذى قال لى: عندما تريد أن تحضر إلى هنا فأخبرنى لا تأتى بمفردك فالكلاب متوحشة

وعندما لاحظ خوفى قال لى: الناس الذين تتعامل معهم بتوع ربنا كل يوم يكونون بالصف الأول بمسجد الحسين وفيهم شىء كثير لله ولكن كن على حذر وما سأقوله لك ستعرفه من غيرى ولكن كأنك لم تسمع أى شىء.

ما تراه أمامك والذى كنا فيه مكبس حشيش لا تنتفض وهؤلاء الناس مجبرون على العمل به وهم لا يشربون ولا يدخنون فهذه أوامر أنت صرت واحد مننا ولن تزول هذه الرابطة فلا تتورط فى شىء ولا تدخل فى شىء إلا إذا نويت الاستمرار، صار الخروج معناه الموت. ما قلته لك لم أقله وأنت لم تسمعه خذ.

مد يده بلفة كبيرة ثم سار، فتحت اللفة كانت بنطلون وقميص وغيارين.

[أعمال كل يوم فى ظل الوضع الجديد]

فى حوالى الساعة الرابعة يوم السبت حضر صاحب البيت وقال لى: جاهز

ــ جاهز

أخذنى من يدى ثم سار بى إلى منطقة بعيدة جداً ودخل عمارة كبيرة وصعدنا السلالم وضغط على زر الجرس وقال : أحمد الشعرانى.

فتح الباب ودخلنا ودخل هو إلى داخل البيت وأنا فى الحجرة وحيداً

صوت حفيف ثوب ولس ناعم لورد متفتح على حرير أملس، الحياة تأتى فى صورة حورية من الجنة، ليس للخيال مكان للإبداع لا الروائح ولا البياض ولا الحمار ولا الملابس تترك لك فرصة لكى تتذكر أين رأيت أو فى ليلة تخيلت، وكيف تتخيل مالا تعرف

ــ السلام عليكم يا أستاذ

كنت واقفا ولكنى وقفت........ لا أعرف ماذا قلت .... لكن نعمة من نعم الرحمن كانت فى يدى بالسلام .... يا أخى نحن لسنا مخلوقات لها حقوق لكن يمكن أن تكون علينا واجبات هذى حوريات نزهن عن الأخطاء ولو أخطأن فإن خطأهن نعمة. أليست ذنوب العابدين عبادة المتدينين

ــ تفضل يا أستاذ أختى وابنة عمى سيحضرون حالا

الرحمة يارب..... اللهم لا تعاملنا بعدلك عاملنا بإحسانك، إذا كنت أنا الضعيف لا أستطيع أن أتحمل واحدة فكيف لى بالباقى؟؟؟

هفهف الريح العطر وتماوجت الحجرة بالجمال ودخلن، سبحان الله العظيم هل يمكن تسمية ما أراه أمامى بنات أو نساء؟

إذا كان الأمر كذلك فما نصيب عمتى صالحة وأختى وزوجة أخى قل باختصار وكل ما وقعت عليه عينى من مخلوقات من هذه التسمية؟

ـــ نراجع أم نبدأ من الأول

ـــ كما تحب يا أستاذ

قلبت الكتاب وكانت حياتي تتقلب، هل يمكن أن يكون ما قاله صاحب البيت معى يعنى ما أظن وكيف ترضى واحدة منهن بى؟ لابد أن فى الأمر شىء أو أن هذه البضاعة مضروبة؟

وكيف يمكن لهذه البضاعة أن تضرب يا ناس؟ ثم لماذا لا أتذكر كلام جدى إذا كانت كل الأحذية مضروبة النعل ويصعب كشفها فى هذا الزمن الغش فلماذا لا نتخير وجها مليحا؟

ثم ياسيدى الفاضل ما يقال عنها كيمياء ليس لها أى احترام إلا هنا هنا الأحياء أحياء، والكيمياء كيمياء، صحيح لها معنى ولون ورائحة وطعم.

اعتدت على إعطاء الدروس أيام ثلاثة فى الأسبوع مصحوبة كل حصة بالعشاء ورفع الكلفة قليلا قليلا مع الحاجة أم محروس والزوجة الثانية الحاجة أم هاشم والحاجة أم مايسة، والغريبة أن الزوجات الثلاث لا تقوم بينهن خناقات، ويبدو أن الغنى الشديد والفقر الشديد يوحدان المشاعر ويقضيان على الغيرة، فالأول لأنه مهما ظلمت فسيكون نصيب الزوجة من المرحوم أو المطلق أضعافا مضافة والثانى لأنها فى كل الحالات لن تنال شيئا.

جاء أشرف وركبنا السيارة.

ـ بعد إذنك يا أستاذ ادخل المسجد

كان أشرف قد أوقف سيارته عند أنشاص ووقف بجوار المسجد ليقضى حاجته ويغتسل ويصلى قلت فى نفسى وأنا مثلك وبدخلنا معاً إلى المسجد،

اغتسلت وجففت نفسي ودخلت الصلاة ولكن دعاء الذي بجواري أفسد عليّ الصلاة وجعلني أتابعه وأنصت لما يقول فأعدت الصلاة مرة أخرى، ولكن ما قاله الرجل لم يزل يعلق بذاكرتي: إلهي أنت رب المستضعفين أعرف أني عاصيك ولكني أحبك وأحب من يحبك، وأعرف قدري وقدرك، فلم أستطع أن أدعوك بما دعاك به سيدنا محمد.

ولكن ليس عندي ما أقول فأنت تعلم السر وأخفى.

ظُلمت يارب كثيرا فكيف يحدث هذا في كونك؟

وخانني الأصدقاء والأولاد والزوجات وصبرت لحكمك. لم يعد في الطوق احتمال ولن أدعو على أحد منهم ولكن هذا حدث في كونك ومن مخلوقاتك فحقي عندك

حقي في رقبتك آخذه منك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة لأنك أنت الحق العادل وأنا العائذ ببابك والراجي رحمتك والطامع في عفوك وغفرانك اللهم ارحمني في دنياي وآخرتي واحملني بقدرتك على جناح عفوك، وزودني بالصبر حتى أحتمل أذى عبادك مخلوقاتك ليكون لي حجة بلقائك ودعائك وأخذ حقي منك والتضرع إليك ياربي. الحمد لله أنك ربنا. الحمد لله رب العالمين

(٨)

بالرجوع إلى أصل الإنسان ودراسة ما قتل بحثا والرجوع إلى السلالات وتاريخ هجرة الشعوب لم أجد أمامى أى شىء عن سلومة أو قرية البرم وكذلك فى الخطط وكذلك عند الحاج ياقوت الحموى فى معجمه ..... ترى من أى شىء خلقه فقدره ثم السبيل يسره.

كان كل شىء يقود إلى الغموض ويضرب فى عماء الجهل وعدم المعرفة، ليل من الليل الطويل الذى لا تستطيع أن تؤجل فيه اليقين (رحم الله أستاذنا يحيى حقى فهو صاحب هذه العبارة) كنا نبحث في هذه الأيام عن عمال التراحيل وكانوا مرتبطين بأعمال فنية فيصعب عليك وجود عامل شديد من مديرية التحرير أو مركز الشهداء منوفية أيام تقليم العنب أو التطعيم، ولكن كانت ومازالت الأيام تفجر لنا مع الفقر مفاجآت فيكثر العرض عام عن عام من خريجى الجامعات والمؤهلات المتوسطة ويزدادوا عاماً بعد عام وتستقبلهم قناطر التسعة فجرا وتودعهم ليلا، وإذا بجرار مكدس ببشر ومعهم الريس عبدالستار ما إن لمحنى حتى أطلق كل مايملك من صراخ

ـــ السلام عليكم

كان عبدالستار أمامى بشحمه ولحمه لم تغيره عشر سنوات من تمرير العيشة والزاد

ـــ معى ترحيلة من نشوة أهلى أى خدمة معك من غير فلوس العشرة لا تهون إلا على أولاد الحرام

ـــ العمل عندى بسيط لا يستوعب.

أشار بيده أن اسكت ومال علىّ (هامسا) الناس عاوزه تأكل عيش حاف من عشرة أيام مفيش شغل أنت أبو الغلابة.

أخذتهم إلى المنحل أعطيت كل منهم قناعا وعرفتهم النظافة وترميم المظلة وإعادة شدها ودهان الخلايا والصناديق الفارغة ونظافة المنحل من الحشائش،

كان كل ما استوعبه المنحل لايزيد على أصابع اليدين.

- ياباشمهندس

كان صاحب الأرض يسأل إن كان هؤلاء العمال يلزمون لى فقلت له: لا. فقال: على بركة الله.

أخذهم للعمل فى رفع الرمل إلى الدور الرابع والبعض للعمل فى الإسطبل والبعض للعمل فى الغيط، سجد عبد الستار على الأرض يقبلها باكيا

- أهلى يارب وعشيرتى لاتؤذينى فيهم.

لفت سمعى مسألة عشيرتى وتذكرت سلومة وعشيرته وتذكرت أصحاب الطالبية وعشيرتهم الشديدة جدا حيث كنت أسكن.

وأذكر/ كان عبدالستار يعمل معى مقاول أنفار فى شركة وادى الملاك وكان يحضر بعض العمال من نشوة وبعضهم من على قناطر التسعة/ أننى عدت من اجتماع مجلس الإدارة ذات ليلة فسمعت نشيجاً شديداً فى بيت عبدالستار فوقفت وناديته فخرج إلىّ باكياً

- خير يا عبدالستار؟

- سعاد زوجه عبدالنبى توفت الليلة

- والحل؟

- سافر ابنى بالليل وفى الصباح// فى الفجر قبل أن تميز الديب من الكلب//يكون كل شىء تمام وسعاد فى نشوة والمأتم جاهز؟

- وأولاد عبدالنبى الصغار؟

- معهم فضيلة بنتى وليس لنا بركة إلا عبدالنبى

- هذا حل مؤقت

- لا... على طول إن شاء الله، البنت بنتى وعبدالنبى من أهلى يعنى الفرح فرحنا والمأتم مأتمنا وكله بتاعنا إن شاء الله

- يا عبدالستار البنت صغيرة

- البنت عال العال وبعد حولين تبلغ... ويكون قد اشتد عودها

وبعد أن انتهت مراسم العزاء كانت قد بدأت وانتهت مراسم الزواج وكأنما استبدل عبدالنبى زوجة بزوجة وانتظمت الحياة تحت قيادة عبدالستار.

استأذن عبدالستار فى الذهاب إلى البنك وكنت فى مأمورية بسيارتى (أقصد التى كانت الشركة قد خصصتها لى وهى نيفا خضراء يسوقها عمك ذكى) فأخذت عبد الستار معى إلى البنك فصرف الشيك الذى أرسله أحد الأفراد من عشيرته الأقربين وأهله الذين أرسلوا إلى بلاد الله خلق الله ليعملوا فى أى عمل ليكتمل بناء بيوت لبعض العشيرة كأنما هو المسئول عن تصاريف الحياة وكأنهم من شجرة بدأت بهم وامتدت، غير مرتبطين بالأرض أو الزمان لكنهم ارتبطوا معا برباط العشيرة. (هل أفسدت عليكم بالبوح والتصريح مكنون الرواية التى كان لابد أن يفهم بالتلميح أو من وراء السطور؟

ومن قال لك أن ماصرحت به هو ما ما أريد؟ ومن قال بأننى خلطت بين عبدالستار وسلومة).

(٩)

الانتقال إلى الذاكرة هربا من الحاضر للتسلح ضده ومحاولة الانتصار عليه/ أو مايسمى من الدروس المستفادة

(فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعاتبهم من شيء أنكروه عليه من فراق آلهتهم ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى وفد من أشراف قريش إلى أبى طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن لؤى بن غالب، وابو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.........

وقال ابن هشام: واسمه أبى سفيان صخر

وقال ابن اسحق: وأبو البخترى، واسمه العاص بن هشام........

فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فاما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل مانحن عليه من خلافه،

فنكفيه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه...

ثم مشوا اليه مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب، أن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وأنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وأنا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكف عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.....

فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا ابن أخى، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا، للذى كانوا قالوا له، فابق علىّ وعلى نفسك، ولاتحملنى من الأمر مالا أطيق، قال: فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدأ لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلميه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته)) قال: ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: اقبل ابن اخى، قال: فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا (تاريخ الإسلام، الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية).

(المجلد الأول ص ١٥٠ دار الغد ١٩٩٧)

عن ابن عباس قال: ... ثم أنه ركب يوم الجمعة، فمر على بنى سالم، فجمع فيهم وكانت أول جمعة صلاها حين قدم المدينة واستقبل بيت المقدس، فلما أبصرت اليهود صلى الله عليه وسلم صلى إلى قبلتهم طمعوا فيه للذى يجدونه مكتوب عندهم......

وبنى النبى صلى الله عليه وسلم لحمزة ولعلى ولجعفر وهم بأرض الحبشة وجعل مسكنهم فى مسكنه وجعل أبوابهم فى المسجد من بابه.

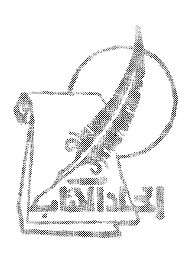
(سيرة النبى لأبى محمد بن هشام ط كتاب الجمهورية ص٢٧٧و ٢٧٨ ج الثانى)

ثم أن جدتى كانت كلما اقترب ميعاد ذهابنا إلى الكلية وهى تعد سنوات الدراسة لنا تقول لنا عند سفرنا: ارحموا أهلكم أهلك لا تهلك

من الحكايات القديمة التى كانت تحكيها لنا جدتى حكاية الثور الأسود

والثور الأبيض والثور الأحمر والحكمة الجميلة التى كانت تجعلنا نصدق على كلام الجدة ونقول لها طبعا أكل الثور الأسود يوم أكل الثور الأبيض ونهز رؤوسنا عجبا متأثرين تماما وتكاد الدموع تطفر من العيون وأنا عن نفسى والله كنت لا أفهم المغذى من هذه الحكاية خاصة وقناعتى وأنا صغير وقتها أن الثور ضحية الأسد مهما طال الزمن لأن طبيعة الأشياء تدخل فى خياشيم خلاياها فلا تفارقها فكيف لرائحة الدم أن تفارق روح المفترس؟؟

ثم أنه فى حكاوى القرية وسهرها بالليل وفى فم الناى وروح الربابة وأغانى عائشة الخياطة وألف ليلة وليلة والحيوان للجاحظ واليتيمة والكثرة الكثيرة من كتب التراث ما يجعل الأهل والعشيرة فوق كل اعتبار.



(١٠)

توفى اليوم ١١/ ١٠/ ١٩٩٧ الأستاذ أحمد أفندى عبدالله مدرس بالتعليم الابتدائى وقريبنا وصديق أبى وآخر سلالة الرجال المحترمين فى هذا الزمان الوغد.

كنت لم أر البلدة من يوم خطوبة بنت أختى يعنى من حوالى عام، قبلها خمس سنوات وكان بيتنا قد هجر بفعل السفر إلى دول الخليج وجلب المال الذى لا يجلب إلا الشقاء لهذا كنت عندما أنزل القرية فى عزاء أو فرح أذهب إلى بيت شقيقتى أو صديقى الجميل طلعت حرب خاصة أن مفتاح البيت مع أخى الذى يعمل فى العين بالإمارات، فكنت أدور حول البيت كما أدور حول الكعبة قارئا الفاتحة على أرواح من لم يقفلوا باب البيت أمام غريب أو قريب، ولهذا عندما هاتفنى أحمد أبوشوشة كأنه يستغيث [الحق الأستاذ أحمد عبدالله توفى اليوم الجنازة بعد صلاة العصر] اعتصرنى الحزن بشدة ولم أدر ما أفعله فوالدى، والأستاذ السيد قطب، والأستاذ أحمد عبدالله، والأستاذ حلمى مرسى هؤلاء الأربعة الكبار الذين ندين لهم بالفضل ونقبل أيديهم صباح مساء ولا نوفيهم حقهم لأنهم التقطونا من الشارع وتعبوا معنا كثيرا حتى أخذت أقدامنا طريق التعليم هدفا وغاية تقصر دونها الغايات فلهم منا أجمل آيات الوفاء ورحمة واسعة من الله لأرواحهم

لما حدثنى تليفونيا أحمد شوشة لم أجد أمامى طريقا إلى السكاكرة فاتصلت بمنقذى من الرهبة صديقى الوفى جدا محمد المهداوى وقلت له يا محمد مات الأستاذ أحمد عبدالله فقال لى: كلنا لها سأغير ملابسى وأمر عليك.

دخلنا مع أذان العشاء إلى قريتى الجميلة وأنا أحس أنها تتنفسنى وأنا أكاد أختنق من نقاء تنفسها وعندما واجهتنا المقابر أعطينا أمواتنا وأموات المسلمين السلام وقلنا لهم أنتم السابقون ونحن اللاحقون، ودخلنا إلى عتمة الطريق فواجهتنا أنوار مركز الشباب وخلفه حزمات من الضوء الملون وسرادق طويل جدا كالنفق وفراشة ملونة بالأحمر والأزرق تتوسط نقوشها اسم صاحبها وقد كان زميلا لنا بمدرسة ههيا فكأنما جميعنا قد شارك بالعزاء.

وسط هذا التذكر الحميم انقض علينا المؤذن بأذان العشاء فتوجهنا إلى الجامع الكبير الذى أمام بيتنا المقفل.

دخلت إلى المسجد أبحث لحذائى عن مكان فتلقفتنى الأيدى والأحضان وتناثر الشوق على أرضية المسجد فكل من تعثرت فيه أتى إلىّ وصلينا العشاء وامتدت السلامات والعتاب على طول الغياب وعدم السؤال عن الأهل والأحباب، وللحقيقة أن هؤلاء جميعا لم يكن بينهم ابن عم وابن عمة أو عم أو خال أو ابن أخت أو ابن أخ فكلهم وأبائهم لم يحضر أحد منهم للصلاة أو للمأتم فى الربع الذى بعد الصلاة ؟؟؟

هل يمكن لهم أن يكونوا قد عرفوا بقدومى فلم يحضروا ؟؟؟

إن الذين تخلفوا ليسوا أهلى وعشيرتى ولكن هؤلاء جميعا هم أهلى وعشيرتى لأنهم ببساطة اختارونى لهم واخترتهم لى دون فرض إرادة أو مداهمة قدر فهى عشيرة ورعية بالاختيار.

ويخلنا فى بهجة الضوء إلى روح السرادق وعمق الكلام، الأضواء بلهاء لا تفرق بين مأتم وفرح، وطوابير المستقبلين العزاء كل البلدة، والصوان للغريب والشيخ قد بدأ بسورة الزمر فاتحا بوابات الصوت حتى آخرها ملوناً الكلام بالنغم الجميل مازجا بين القراءة والأخرى متحايلا على الحروف والمد والإضغام ليخرج من نغم إلى نغم آخر، ليبصر الذين ينافسونه مدى قدرته واستيعابه لكافة طرق التلاوة ولينتزع أكبر قدر من الآهات والإعجاب وداخلا فى هالات المجد التى ستترجم إلى دعوات لمأتم دون غيره (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أى جمال وأية موسيقى عندما يفتح الصوت حتى آخره فى (سلام عليكم) ثم يصمت لثانية من الوقت وينطلق من نفس المقام دون تمهيد كأنه لم يتوقف (طبتم) ثم يقفل كل أبواب النفس ليتضخم الصوت معلنا فى وقار القدرة النتيجة النهائية لسعيهم لربهم من خلال جوقة من المعانى المخلّقة فى ضباب عدم التخمين بزيادة المنح والعطاء (فادخلوها خالدين) ثم يكمل القارىء وأنتبه إليه وهو يدخل فى بدايات سورة غافر (شديد العقاب) أى تنبيه هذا الذى يلقيه فى روعنا هذا القارىء يؤكد فى إصرار على شديد العقاب وحتى لا تتخيل أن المسألة قابلة للهروب فيلحقها (ذى الطول) بنفس الدرجة من العمق والتحذير وحتى يلاحقك بما بعدها (لا إله إلا هو إليه المصير) إذن الحصار قائم والمواجهة قادمة فاستعد من الآن إن لم تكن قد جهزت السفينة من قبل.

وسط كل هذا دخل إلى وسط صدر القاعة ووقف أمامى واحتوانى فى حضنه ملخصا كل شوقه فى كلمة واحدة تأخذ بتلابيب القلب (إزيك)

كان الأستاذ عبدالمعين واقفا أمامى بأعوامه التى مرقت بعد سن المعاش

بقليل وليس فى رأسة شعرة بيضاء واحدة فرح قلبى لرؤيته فهو من الجيل الذى يكبرنا مباشرة وكان من الجيل الذى لبس الشورت والقميص وهتف/ القرآن دستورنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا/ هؤلاء هم شباب كشافة الإخوان المسلمين وهم الذين أوكل إليهم أخذ دور على ابن أبى طالب فى فداء قادة الإخوان وبعد فترة دخلوا منظمة التحرير ليسيطروا عليها وقالوا لنا للتمويه ولأننا كنا صغارا ونعتقد لدرجة الاعتقاد أنهم لا يكذبون فكنا عندما نمر على منظمة التحرير وعليها العلم بألوانه الأحمر والأبيض والأسود كنا نضحك لأن لنا من يضحك عليهم وإن كنت لا أعرف لماذا أو كيف.

ـــ الله يخليك ازيك يا أستاذ عبدالمعين جلس بجوارى وهو يتمتم : كل هذا الشعر الأبيض يا حبيبى

ـــ كل سنة وأنت طيب خمسون عاما من العمر ولت بلاد تولت (اقتباس من عفيفى مطر بتصرف من الزمن)

ـــ أنت أصغر من عبدالحليم ياه صحيح يا أخى نسيت أكلمه وأقول له عمك أحمد أفندى عبدالله مات بعد إذنك أعمل تليفون.

هذا هو عبدالمعين الشاب الجميل سليل الإخوان المسلمين وابن أكبر رأس من رؤوس الإخوان المسلمين وأحد الذين فتحوا باب آخر يمكن إكمال التعليم فيه وهو ما يسمى معهد المعلمين بعد البكالوريا، وكان كلما قابلنى ووجد معى جريدة الأخبار التى كان أبى يرى أنها أهم الجرائد المصرية بينما يرى الأستاذ أحمد عبدالله أن الأهرام هى الجريدة التمام ولكن ذلك لا يمنع قراءة الأخبار بينما عند والدى يمنع قراءة أى جريدة مهما حدث، كان عبدالمعين يقرأ الأخبار وأى كتاب معى ويقول لى فاهم الكلام فأنظر إليه وأضحك، وفى أحد الأيام أخذ منى قنديل أم هاشم

لشيخنا الكبير المعلم يحيى حقى وكان مطبوعا فى سلسلة اقرأ دار المعارف فقلت له: هات يحيى حقى وأنا أحضر لك كتاب الملك فاروق لكريم ثابت

قال لى: لا أنا أخذت الكتاب خلاص

قلت له بابتسامة فهمها على الفور: الملك الصالح فاروق

قال لى بعند شديد ويمانع سبابا على طرف لسانه: لا ثم الملك الصالح فاروق أبوك يعرفه وكل الإخوان المسلمين

قلت له : لهذا فيحى حقى لى والملك فاروق لكم.

تركنى ومضى قائلا: كفاية كلام أنت ولد مش سهل مفيش كتاب ثم توقف كأنما تذكر شيئا قائلا: ثم إن هذه الكتب كتب والدك وأنا أولى بها منك

قلت له: أبى لم يمت بعد حتى تورثه.

نظر إلى طويلا وقال فى صوت باك: ربنا يرجعه لنا بالسلامة ولكن من سيسكت على أخذ الكتاب بالقوة؟

كان لابد من معاقبة عبدالمعين لأنه قال: أبوك وربط نفسه به، كيف وأبى الوحيد الذى فى المعتقل وهم وسط أولادهم بطلبات استرحام قدموها لجمال عبدالناصر ثم أولاً وأخيراً هل تساوت الروس بين الناس أو هل تساوت شر شيمة والسكاكرة ؟

كانت الحمية قد أعمتنى وأنا صغير والزعل زرع مشاتله فى نفسى وسرت إلى بيت أحد أصدقائنا فى شر شيمة ووجدت عبدالمعين هناك فتجنبنى تماما فأخذت صديقى وعند خروجى لمحت عين عبدالمعين باسمة برغبة أعرفها ونظرت فى الجهة الأخرى فعرفت ونظرت إلى صاحبة النظرة ففهمتْ أننى فهمتْ فنظرتُ إلى عبد المعين وأشارتْ إليه وعندها

نظر إليَّ برعب، ضحكتُ وقلتُ بطريقة لا تخلو من قبح وهدوء: إحنا رجاله قوى، لكن وبعدين؟؟؟

عرفت السر إذن وعليك يا صاحبى أن تعمل حسابى من اليوم، ونازعتنى الخواطر الرديئة فى البوح لأهلها أو السكوت؟؟

هل أقول لأخيها أم لا؟؟

ثم أولا وأخيرا ماذا سأستفيد من هذا القول؟؟

إذن أنت تحب يا عبدالمعين؟ حاضر يا حبيبى.. من هو منافسه؟ إلى الآن، لا أعرف، لكن هذه بنت ناس طيبين وهى كأختى فكيف سأتكلم عنها ولمن والبلد كلها تعرف بعضها وتتكلم فى آذان بعضها!

حملته وظننت أننى فزت به وإذا هو يصيرنى عبداً له (لا تصدق أن هذه فلسفة أو نوع من البوح فأفسد عليك مغزى الرواية البعيد لا والله العظيم أنا أعرف ما أفعله جيدا لكن هذه كانت الحقيقة) أننى أصبحت عبدا لهذا السر وعندما قلت سأقول لأختى صفية (كان أبى يغضب جدا عندما نقول لها صفاء ويقول صفية بدون ألف أو همزة وبتاء مربوطة) جلست بجوارها وقلت لها: تعرفى فيه سر ... عارفة عبدالمعين؟

لم تنظر إلى وقالت: ابن النجدى؟

قلت بفرح: نعم

قالت لى: اسمه الأستاذ عبدالمعين عيب أكبر منك وليس ولد صغير

قلت لها: ياسلام .... خلاص هوه ده

قالت: ماله؟

قلت لها: يحب واحدة صاحبتك

قالت دون أن تنظر إلى: وأنت مالك، هو مدرس وأنت تلميذ ثم إن صاحبتى هذه خطيبته قرءوا الفاتحة يوم الخميس الماضى يا نبيه فهمت،

وبعدين عيب عليك التجسس على الناس.

قلت لها: والله العظيم أنت لا تعرفين أى حاجة

قالت وهى تكمل تنقية الأرز: متشكرين

قلت لها وأنا أمسك يدها: اسمعينى يا شيخة نظرت إلى وقالت: عيب أنت أصبحت رجلا ... اترك هذا الكلام للعيال الصغار

قلت بيأس: أنت لا تعرفين على من أتكلم

قالت: على عايدة بنت سعيد أفندى مبسوط؟

ارتحت يا فضحى؟

اسقط فى يدى وحجرى وعقلى ولم أتكلم ولكنى فى أحد الأيام سألت أخيها صحيح عايدة خطبت إلى عبدالمعين فقال لى: فاتحة بس

.. شكر الله سعيكم كان يدور بها كل فترة واحد من الأهل على الأهل والغرباء ويتحول المأتم من مكان يتسع الواجب بعيداً عن البيوت إلى مصطلح قيمة يتم من خلاله تقييم الميت وأهله.

ولكن كل الحسابات كانت فى صالح أحمد أفندى الذى دفن فى قلوبنا وليس فى جبانة السكاكرة بنت الايه.

دائما ما أتساءل هل يمكننا أن نستغنى مثلا عن إقامة المأتم؟

أنا ضد إقامته ولكن كيف يمكن للناس أن تحس بقيمتها عند بعضها وتحس أنها مستورة والحمد لله.

لماذا تحرم العائلات من أن يصطف رجالها صفوفا طويلة تضم الأنسباء والأشقاء وأبناء العمومة والخئولة والأصدقاء الشداد للعائلة أمام السرادق ويدشنون الصبيان الذين دخلوا فى طور الرجولة بأن يتم إفساح مكان لهم فى صفوف تلقى العزاء.

عندما تكلمنا عن بناء المضيفة التى أمام منزلنا تكلمنا أولا مع العائلة ثم

الجيران ثم المحبين، وشرحنا ان المضيفة يمكن أن تكون للمأتم كما للفرح وخفضا لتكاليف السرادقات قمنا بتعين حمد الله لعمل القهوة ويختار له فريق عمل ووزعت المسئوليات سواء كان فى العزاء أو فى الأفراح ولكن اكثر الموجودين عيالا وأقلهم أرضاً ومالاً. قال: هل تمت الشكاية لكم من أحوالنا؟، ثم إن كل واحد يولد برزقه لم نسمع عن أحد مات من الجوع، ثم الأهم من كل هذا هل هؤلاء الأساتيذ سيقيمون أفراح أولادهم وبناتهم هنا؟

ـ طبعا

نطقت بها وأنا أكاد أجن من هذا المنطق العبيط

ـ طبعا ... ياسلام افرض مثلا إن عريس ابنتك من مصر والدخلة فى مصر وإنه راجل عليوى من الاكابر طبعا الفرح فى نادى فيه أكل مش طبيخ وحلويات مش مهلبية، ومناديل ورق مش فوطة لكل الفرح!!، ويكون الفرح فين طبعاً بقى؟، أو إن ابنك تزوج من أى بلد، كتب الكتاب عند العروس فى بلدهم والدخلة طبعاً مش فى البلد، ثم تاعب نفسك لنا كتر خيرك. الفرح يا أستاذ، وأنت سيد العارفين يكون على موسم القطن والأرز، ويكون الواحد عند فحلة وجوز خرفان يبيع الواحد المحصول والفقايات الصغيرة، ونترك خروف للفرح ونجوز العيال عيل فى كل موسم ونفرح البلد ونرزق بتوع الفراشة والغوازى والطباخين وبتوع الحشيش يوم فرح بره القانون والممنوع ولا عتاب من أى واحد لواحد ولا من الأب لابنه، وإذا متنا العيال تجوز أخوتها وكذلك الميتم.

تفكير غير سليم نوفر كل هذه المصاريف وتشترى بهائم أو أرض وتكبر.

قاطعنى: استغفر الله العظيم يا أستاذ أنت مش ربنا ولا مسئول عن

أرزاق العباد ثم إن الأرض معروفة مساحة كل واحد ومن يشترى من من؟
يعنى شراء أرض خراب بيت واحد من البلد ثم أشترى بهائم تأكل هواء الأرض يدويك تقضى الموجود

ورغم كل هذا قامت المضيفة ولم تزل وتقام بها المآتم والأفراح ولكن هذا لا يمنع أن يشذ سرادق فى وسط السنين.

(فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسئمون) صدق الله العظيم.

أنهى القارىء الربع بدخوله من غافر إلى فصلت وبقى ربع الختام وكان ضروريا أن أرى طلعت ونتكلم فأنا لم أره منذ فترة طويلة لهذا أشرت لمحمد المهداوى وخرجنا نضع أيدينا فى أكف طابور العرض الطويل.

- شكر الله سعيكم

- غفر الله ذنبكم

انتحيت بطلعت ناحية بجوار السرادق

- أين أنت يا أستاذ؟

- على البيت نكمل الكلام

ولكنى لمحت فى عينيه كلام فأنا أعرف طلعت جيدا يكاد يقول

يا أخى انتظر آخر ربع ثم نأخذ أولاد الأستاذ أحمد افندى ونقضى السهرة عندى بعيدا عن جو الحزن هذا.

ورغم أننى عندما خرجت من بيتى قلت فى سرى فرصة اسهر بالسكاكرة وأتفرج عليها بالليل وهى تخرج لى مفاتنها ومعنا كل الأصدقاء أو معظمهم ولكن لست أدرى لماذا سلمت عليه على وعد باللقاء قريبا ولم أذهب إلى أختى ولم أمر على بيتنا.، واتجهت أنا ومحمد المهداوى إلى المحطة وإذ حولنا شلة كبيرة من البلدة منهم الأصدقاء أو

أولادهم ومنهم من لا أعرفهم ولكنهم يشكلون قبيلة كبيرة وعشيرة جمعنا حب السكاكرة، فأنا أحبهم ولكن لماذا يحبونني رغم أني غير مقيم بالسكاكرة الآن حضوري لها قليل ولم أتعامل معهم؟

هل يمكن أن تكون السكاكرة قد فعلتها معي مرة أخرى وكشفت لهم عن هوايا بها وجنوني بها وبكل ما فيها وتعليق قلبي مشبوحا على جريد نخيلها يقطر منه حبها الذي لاشفاء منه ولا تسألني لماذا فحب السكاكرة كالموت والبلهارسيا لا يحتاج إلى أسباب أو مسببات هل يمكن أن تكون السكاكرة قد باحت؟؟



(١١)

تتفق معظم أراء الناس والشعوب على أن العادة لها قوة سحرية، فإنك إن اعتدت على رؤية أحد من الناس حتى ولوكنت تكرهه فى مكان وزمان معين فعند غيابه تحس بأن شيئا ينقصك، فمثلا الكلب الذى ينبح عليك فى أخر الليل عند عودتك متأخرا عندما يتغيب عن ميعاده فلابد أنك سائل عنه.

- راح فين بتاع الكلب ده الليلة دى، لأبدْ فى حتة دفا الحمد لله استرحنا منه، أو مولف على كلبة زيه أو يمكن لابد فى حتة دفا لكن الحقيقة غير ذلك وهى أنه وحشك أو بالكلام التخين جدا كسر قاعدة المألوف والمتوقع التى من شدة تأكدك منها أحسست أنك صانعها والمسيطر عليها ولهذا تصدم عندما تتغير. إذا كان هذا صحيحا فلماذا تأتى هذه الذاكرة بنت الايه بكل هذه الذكريات والتفاصيل فمثلاً عندما كنت سائراً فى أمان الله فى بغداد لمحت وجهاً أعرفه لا تقل لى إن بغداد كلها مصريون فأنا أعرف والله العظيم، لكنه وجها استوقفنى لا أعرف أين رأيته فاستدرت فإذا بذلك الشخص هو الآخر يستدير فابتسمت فابتسم ثم جاءنى جريا وارتمى فى حضنى سائلا عن البلد والحى، فقلت:

نعم فعرفنى بنفسه فلم أعرف حرفا واحدا مما قاله ومع ذلك أحسست أنى أعرفه.

هل يمكن أن يكون بالدم نوعا ما من الكرات البنفسجية (حتى لا نعتدى على الحمراء والبيضاء) تكون هى المسئولة عن هذا التعرف وتوكل إليها الحب من أول نظرة وما شاكل ذلك؟

كل هذا كان يجرى فى مخيلتى وأنا فى طريقى إلى المنحل حيث اتفقت مع عبدالستار أن يوافينى بفردين يكونان معى بشكل دائم لزوم التغذية بالمنحل ويبيتون أو يسافرون يوميا فالمسافة قريبة.

لم أر عبدالستار طبعا وقال إبراهيم أبو حسن:

الرجل بتاعك مشى وقال كله تمام ولم أعرف ما هو التمام ولكنى انتظرت حتى الصباح وعند ذهابى إلى المنحل وجدت صلاح بن عبدالستاروزوجته وولده يجلسون بجوارالمنحل فى الهواء بلا أى ساتر

ـ صباح الخير

ـ صباح النور يا باشا المعلم بعتنا هنا ومعى ابنى لزوم الشغل و....

ـ افتح

مددت له يدى بالمفتاح وقلت له بسرعة عما يمكن عمله حتى الصباح فاليوم هو ٣٠/ ١٠/ ٩٧ الخميس، هو يوم زواج سومه بنت أختى وهذا شىء هام والهام ايضا كان زواج هيام محمد على سليمان. لم أكن أعرف أن طلعت المدعو محمد على سليمان حرب له بنت واسمها هيام سبحان الله!!

كيف لى أن لا أحضر وعندما ذهبت إلى السكاكرة فوجئت بأن اليوم هو خميس الأستاذ أحمد عبدالله احد أربعة أفراد اخترقوا جدار الجهل فى الزمن القديم ولهم فضل جرنا إلى التعليم من هذا الثقب الذى يدعى مدرسة شر شيمة الابتدائية والتى تأسست عام ١٩٠٧. تخيل حضرتك كم

من البشر انحشروا فى هذا الثقب منذ هذا التاريخ ومن واصل التعليم إما بالأزهر أو بدار المعلمين، وأيضا من تسرب إلى الخارج بالحقول وأشهرهم على الإطلاق السيد أبو محمدى.

ذهبت إلى فرح بنت أختى ووجدت العصابة بأكملها وخطفت نفسى إلى خميس الأستاذ أحمد عبدالله وبعد صلاة المغرب ذهبت إلى طلعت لحضور كتب الكتاب (وقد كنت زعلان لأنه لم يدعونى لكتب الكتاب ولكنى عرفت وقلبى حدثنى قبل ذلك بأن أذهب إليه) قال لى: والله عارف عندك فرح بنت أختك ومشغول و..... لم أكلمه ودخلت إلى الفرح وشهدت على عقد القرآن وكنت أحد الذين سألوا العروسة.

— من توكلين نائبا عنك؟

— أبويا

ضحك طلعت وقال لها: عارفة من هذا

قالت: لا

عند ذلك تقدمت زوجته وأخبرتها وقالت: لا تزعل والله أول كارت كتب كان لك ولكن كان فرح بنت أختك هو السبب .

— إذا كانت سومة بنت أختى فهذة بنت أختى وبنت أخى

* * * * * * * * * * * * *

مر المساء وعدت ناسيا أن صلاح وزوجته وابنه فى المنحل فذهبت إليهم بعد صلاة الجمعة فوجدت أن كل ماقلته وما لم أقله قد قاموا به خير قيام وقال لى

— واحد سأل عنك من ساعة وسار بعيدا ولم يقل لنا من هو؟

وقبل أن يكمل كلامه كان سلومة يأتى عبر الطرقات الرفيعة وهو يمسك طرف جلبابه وما أن جلس إلا وأخبرنى أنه يريد شراء أرض بالشرقية أو فى سيناء لتكون لمسعد ابن أخيه، لأن الأرض التى اشتراها فى أسوان أخذها ابن أخيه الآخر.

لم أعد أستطيع صبرا أبدا فى تلك الساعة فقلت له: ما هى الحكاية بالضبط ياسلومة؟

نظر إلى الأرض ولم يتكلم ثم نظر إلىّ وقال: المسئولية

ـ مسئولية ماذا بالضبط؟

ـ ممكن توضح أكثر من ذلك

ـ هذا ليس تكافلاً اجتماعياً ولكنه اكثر من هذا (كنت احسب أننى فاجأته وأنه سينهار وسينكر أولا)

ـ طبعا أكثر من هذا وواضح ولا يخفى على واحد مثلك

(بهدوء)

ـ أذن ما الأمر؟

ـ نحن من قبائل لها ميراثها القديم بالتكافل مثل السودانيين ومثل ما قام الإسلام به من مبادىء (المسلمون متكافلون بدمهم يسعى أقلهم وكل فرد منه بكفاية حفظه والذود عنه) تركوا لنا ذرية ضعافا فلم يكن هناك بد من الزواج من مناطق مختلفة وعائلات مختلفة حتى نكون فى أى قطر نحل... لنا أهل وتتنوع الذريات بالتخير لنطفنا فان العرق دساس. وتوفير مصادر المال للجميع من الجميع ولكن بالطريق المشروع فمثلا لسنا كعائلات احترفت السرقة والشحاذة لتكوين رؤوس أموال أو تاجرت فى الممنوع من الكيف لتحافظ على قوى رعيتها أو أجبرت آخرين للعمل بهذه التجارة وهم يوفرون لهم الحماية لتكوين عصب المال أولا ثم المال، لكل هذا كنت أنا سلومة باختيارى ودون توريط القبيلة فى حسبة الاختيار...

ـ لا ياسلومة أنا لا أريد التدخل فى مسائل شخصية ولكن المسألة أكبر من هذا بكثير، وقد تصل إلى حد المنع لو علم بها الجهاز الحكومى.

ـ وما هى المسألة فى نظرك؟

ـ هذا أشبه بتنظيم أو دولة داخل الدولة وهذا طبعا ممنوع.

ـ اترك هذا الكلام لأحد غيرك، أنت تدافع عن دولة لم تنل منها إلا كما يناله العدو بينما العدو يتربع وتراه يتنفس حولك ويفعل ما يريد ويكاد ينام معك وأنت مع زوجتك!! ثم تقول لى دولة؟؟ أين هى الدولة؟ هل تحسها حولك، أنت تحس بجبروت القانون الذى يترصدك ويطبق عليك أنت وحدك ومن هم على شاكلتك من المهووسين بالثقافة والشعب والعدل الاجتماعى، ولو أن الذين تدافع عنهم سمعوك لناصبوك العداء وانضموا إلى الطرف الآخر، طبعا أنت مذهول أنا خريج جامعة عين شمس قسم الاجتماع من كلية الآداب وكنت أول الدفعة وعينت معيدا بالقسم وحصلت على درجة الماجستير وكان أحد المشرفين على الرسالة الدكتور سيد عويس وكان أيامها يحقق رسائل الناس إلى الإمام الشافعى وبعد الماجستير تكلمت معه فيما أنا فيه وقال تبدأ الدورة الثالثة العظيمة لمصر بعد محمد على بثورة تنقية المصريين منك وبارك مشروعى، وبما أنك فتحت هذا الموضوع فأنت واحد منا وأزوجك ابنتى (تمام/ سيادة) لها اسمهان فى شهادة الميلاد ككل القدماء الفراعين، وهكذا أطلعت على السر فاختارتك العناية لنا

ـ عن أى شىء تتكلم؟

ـ أتكلم عنك وعن قدرتك على الدخول فى زمرتنا ولم أقل رعيتنا

ـ لا أستطيع فأنا مريض بالسكر العصبى الثعلبى المقاتل

ـ هذا لا شىء، طالما أنك غير مرتبط برعية ما

ـ من قال هذا كل واحد منا مرتبط برعيته حتى رعية عدم الانتماء

ـ يقول ابن عربى من لا شيخ له ناقص الإيمان ثم أوجز فقال/ وأنا شيخى الله؟

ـ وأنا

ـ وعلى مستوى التحقق؟

ـ السكاكرة كلها مشيختي ولسان حالها حالي، ومصر مملكتي وتمام مرضها وجعي وهي كائن حي ينبض وينهض بين الحين والحين وهناك أيدي غريبة جدا لا تمل التقطيع من لحمها الحي ولكنها مستمرة في النمو والتقطيع مستمر فلا هي تموت ولا التقطيع يتوقف!!

ولا عشقي يتوقف ولا أدرى لمرضى بها سبب، ومتى كانت الأسباب مبررة للنتائج، فهل من المعقول ياسلومة أحارب عن قضية غيري وأترك قضيتي؟!

ـ لا تدخلني في متاهه الكلام يا حاج فقط اختصر الطريق وأعد إلى الوجود وجهه النضر، وأعلم لو عادت مصر لعادت الحياة.

ـ أنت تريد مشروع كوني وأنا لا أريد أى شىء فقد غررت بى الدنيا مليون مرة من جميع جهات الأرض.

ـ هل تندم على سنوات اعتقالك؟ أم على الزمن الذى مضى وأثرى فيه كل من تكلم فى المكلمة وانقلب فيه كل شىء إلى ضده، وإذا كنت تنتظر التقدير من أحد فلا أحد.

ـ أنا لا أريد أى شىء أبدا يكفى فرجتى ورفضى

ـ هذا عدم وأنا ذاهب إلى الفيوم لاستكمال بيت الولد ليعود فى الشتاء ليتزوج وذلك بعد عودتى من سيناء.

ـ ولماذا فى الشتاء

ـ أولا: لأن الجميع ينزل فى الصيف، فيكون العمل مضاعف الأجر فى الصيف نظرا لقلة العمال ونضمن لنا مكانا دائما وعندما يريدون أن يستغنوا عن أحد من الناس لا يستغنون عنا.

ـ إذا ذهبت إلى الفيوم فلتحضر لى كيلة ذرة رفيعة لأننى أحتاجها لعمل عيش منها لمرضى بالسكر

ـ هل تخاف من الموت

ـ يا أخى أنت رخم ودمك ثقيل بشكل ..... ما علاقة هذا بالموت؟ ثم نعم أخاف من الموت

- لماذا هل عندك مشروع وتخشى عليه من عدم الاكتمال بموتك؟ فى هذه الحالة لا خير فى هذا المشروع القائم على الفرد.

- يا سيدى بدون فلسفة هذا الخبز يريح المعدة

- المرض لا يقرب الموت والصحة لا تمنعه

- بلاش نحافظ ونتعالج؟، نعك يعنى؟

- إذا أصيب الإنسان بالسكر فهذا أولا وأخيرا لأن الناس تكون تعيش حياة متقشفة ثم يتاح لها أن تعيش بشكل أفضل فتفتح مخازن المعدة على الأخر، هنا فإن البنكرياس الذى خلقه سيدك تعود على قدر معين من العمل فكيف يستطيع أن يقوم بهذه المهام الإضافية؟

- شكرا يعنى نحن أولاد جوع، ولكن ما قولك فى الأطفال الذين يولدون بالسكر؟

- أكاد أشك أن بعض الأمراض من شدة ملازمتها للناس تكاد تورث، والحمد لله الذى لم يورث الشعب المصرى البلهارسيا

- هذا دليل على عدم دقة استنتاجك.

- مطلقا ولكنى لا أريد أن أصدمك فإن الشعوب الهجين تتمثل فيها عوامل مقاومة لأمراض البيئة فمصر مقاومة للبلهارسيا والهند للكوليرا وهكذا.

- كل هذا يحتاج إلى دليل ولا يزيد عن كلام.

- أشد الأشياء تأكيدا تحتاج إلى دليل، وأنت تحتاج إلى دليل لتثبت أنك ابن أبيك

- يا عم شكرا سافر مع السلامة

- ما رأيك أن تلحق بى لتحضر مولد سيدك الروبى

- ربنا يسهل

(١٢)

لله اجفان عين فيك ســاهـرة * * شوقا إليك وقلب بالغرام شج
وأضلع انحلت كادت تقومهـا * * من الجوى كبدى الحرى من العوج
وادمع هملت لولا التنفس من * * نار الهوى لم أكد أنجو من اللجج
أصبحت فيك كما امسيت مكتئباً * * ولم أقل جزعا: يا أزمتى انفرجى

يتمايل الصوت وحوله الدف والطار وسلامية صغيرة ترسل زفراتها الحارة والصوت يتمايل ملء الفضاء ويحتل المكان ويشرخ القلب والناس فى حالة من الوجد تجعلك لا تسأل هل يفهمون؟

هذه قصيدة بن الفارض فكيف بالعربية الفصحى الصوفية تحتل منزلة كهذه عند عامة القوم؟ هل يمكن أن تكون هذه السلالة مختارة بعناية من الذين تفوقوا فى التعليم وتجاهلوا حتى يكتمل المشروع النقى؟ ولكن ثم ماذا بعد؟

ذكرنى هذا بمولد سيدى زين العابدين وكانت سهرة دهشت من قدرة الشيخ يا سين التهامى على الشدو الجميل المد لمواصلات الترديد بين الجوانح ما بين الحلاج وابن الفارض واختياراته:

وكل اسوداد فى تفاصيل مره * * * على كل قد شاب والغصن يانع
وكل كحيل الطرف يقتل صبه * * * بماض كسيف الهند حالا مضارع

وكل اسمرار فى العوالق كالقنا * * * عليه من الشعر الرقيق شرائع
وكل مليح بالملاحـــة قـد زهـــا * * * * وكل جميل بالمحاسن بارع
وكل جليل جـــل أورق حســنه * * * * وكل لطيف فهو باللطف طالع
محاسن من أنشــاه ذلك كلـــه * * * فوحّد ولا تشرك به فهو واسع
وإيــاك أن تنطق بغيريــة البهاء * * * إليه البهاء والقبح بالذات راجع
وكـل قبيح إن نسـبت لحســنه * * * * نسبت معان الحسن فيه تسارع
يكمل نقصـــان القبيح جماله * * * * فما تم نقصان ولا تم بارع

* * * * * *

سبحت الله العظيم وقلت فى النفس الأمارة بالسوء يا نفس خلى بالك يستطيع ياسين التهامى الغير سياسى أن يجمع كل هؤلاء الناس على نص صعب المعنى والفهم والنظم فيحبونه ويعشقونه ويفهمونه ويعيشون حالته؟

كما يستطيع سلومة المشابه فى حركة التنقية إلى أرقى أنواع البشر أن يحمل وجهة نظره لأرقى المعانى السامية التى يحملها أحط شعوب العالم وهو الشعب الغليظ الرقبة اليهود وهى وجهة نظر النقاء العرقى كالألمان بالضبط فى الحفاظ على نقاء السلالة كما هو أى سلومة نفسه ينتمى بشكل أفقى إلى كل من جيفارا وكاسترو فى الثورة!!! هل ما أقوله عجيب؟

قال سلومة: اسمع يا سيدى... ماذا لو اخترنا مقولاتنا الثورية النابعة من حاجة الشعب بكافة شرائح طبقاته الفقيرة لبلورة مبادىء وأناشيد وأغنيات ينشدها مثيل ياسين التهامى تكون لنا حركة ممتدة مثل جيفارا!!!

الإجابة:

أولا: لا يمكن أن تقوم حركة أو تنقية لسلالة ما على يد واحد مثلى هل تعرف لماذا؟

لانك لو راجعت ما قلته سابقا ستكتشف أن هذه الصياغة عفى عليها الزمن وبالت عليها الفئران، لأنها صياغة منظمة الشباب وأحزاب اليسار الفسكوز والجنجاه وهذه صفات أحزاب اليسار لدى سماسرة الفكر فى العالم العاشر الذى ننتمى إليه وسوف أذكرهم بالاسم مع مصادر دخلهم وعلاقاتهم الشخصية العلنية والسرية المسماة بالحرية وتكبير الدماغ.

ثانيا: اسمع كلام شديد الواقعية جدا وفى الهجايص انا أكتب هذا على أحدث جيل من الكومبيوتر وعلى مكتب من خشب الماهوجنى الأبيض، وكرسى من محلات آرت وسجادة أحضرتها خالتى من أصفهان كانت عند تيزه من مائة عام، ناهيك عن مكان السكنى وهو الذى يجعلنى أحب الفقراء لأن الجناح الذى أعيش فيه مكون من عشر حجرات ويأخذ الجانب الشرقى من السرايا وأنا هنا اتبعت نصيحة صديقتى الناقدة اليسارية التى حذرتنى أن أسكن الجانب الغربى قائلة لى بالصراخ اللئيم: احذر الظلال على الجانب الآخر.

ولم أفهم المعنى ولكن انتقلت إلى الجانب الشرقى من السرايا.

لكل هذه الأسباب فأنا غير صادق فى بلورة صياغة النقاء هذا فى عصر من أوله إلى آخره مدنس ومنحط بالبلدى الفصيح (تانى)،

هل تريد منى أن أخدع مرة أخرى ويكون لى ضحايا أجندهم ثم أبلغ عنهم البوليس ليعرف المسئول عنى أننى شغال، وأيضا نحاصر الحكومة أن كل هذه الأعداد يسار، وعلى فكره كثير جدا من هؤلاء الذين كانوا ضحية المراهقة وأرسين لوبين وناس تقبض فلوس على كل رأس منهم ما إن يخرج الواحد منهم من السجن إلا ويسافر إلى السعودية أو الإمارات / الله يرحمك يا عبيد ويا بكر/ أعتقد أنك فهمت

- (الحمد لله)

- ياعم سلومة الرحمة سيبنى يا شيخ مستمتع بالمولد والإنشاد وبلاش

شـغل الحلبسـة، المفـروض أنك لا تنتظر الأوامـر ولا المنح وليس لك فى الجمعيات ولا التمويل ولست كالقرد مكشوف المؤخرة وتنظر لذلك بأنه من دواعى هذا العصر والتحرك فى كل عصر حسب سقفه، ولكننا نحن الذين نعصر عصراً يا عم سلومة،

سـأقول لك على فكرة نضـالية مدهشـة: نقول على كل واحد أن يتجمع لبناء مسكن الغد (ضرورى يبقى الغد علشان المستقبل) ونسرق بالمرة فكرة حسن فتحى وهى، فرد واحد لايستطيع بناء بيت ولكن مائة فرد يبنون، مئة بيت ونلم خلق الله المتطوع متطوع والباقى بالأجر الرمزى وعند بناء العمارات يسكنها أولادنا بالقانون، مثلا التكلفة سبعة عشر ألف جنيها ونشتريها نحن، عاوزين شوية وساخة ضمير وغش يا سلومة حتى أفهم أن هناك مبررا لما يحدث لى. رحم الله بلخنوف شايف يا سلومـة كلامـه مع الحج لنين طلع صحيح وإن الست روسيا ستكون قيصرية، ياسلومة حافظ على نفسك فإذا فشلت فلك وإذا أصبت فبك، وإن كنت غير موافق على كل ما تقول ولكن أحترمه كما احترم حق تقرير المصير.

وفكرتك لك خالصة من دون المجرمين فلماذا توجع دماغى بالدجل؟؟؟؟؟؟

انتهينا من مولد الشيخ الروبى ولم يغضب سلومة منى وكان كالعادة مضيافا وأخا طويل البال ومتأكداً من صدق يقينه فيما يعتقد ويريد.

عند مغادرتى الفيوم حملنى سلومة بقفتين من العيش الذرة وقال: هذه هى الأمانة، وبها أمانة أخرى حافظ عليها لعلك ترى،

وظل معى إلى أن ركبت الميكروباص إلى الجيزة وأصر على عدم أخذ النقود وقال: عيشك ملو بطوننا.

لمحت فى الميكروباص أحد بلدياتى مجندا يلبس لباس الجيش فناديته:

عبدالعال. التفت إلىّ وسلم وتبادلنا مع مجاورينا الأماكن ودفعت له الأجرة وأوصيته أن يأخذ العيش ليوصله إلى المنزل لأن لى مشوار بالقاهرة

قلت أقابل طه طنطاوى وأبيت عنده هذه الليلة وأطمئن على أحواله، وعندما ذهبت إلى عمارات منتصر عمارة ٤٥ بالدورالخامس قال لى جرس الباب الذى لا يرن وطرقاتى على الباب أن أخونا طه خارج الديار وربما يعود، وكما هى العادة جرجرت أقدامى حتى مقهى الأمراء وطلبت قهوة سادة وشيشة

ــ إزيك يا سعادة البيه

(كان قد انتقل إلى جوارى يحمل قهوته وشيشته)

ــ نعم؟

ــ إزيك؟ سؤال من إنسان إلى أخيه الإنسان

ــ الحمد لله

ــ لا ترد على من طرف أنفك فأنا موظف فى غرفة عمليات المحافظة صحيح كل شهر يخصمون منى أربعين جنيها لأننى لا أذهب إلى الشغل كل يوم، ولكن عندما يكون هناك عمل أذهب وهم يخصمون وأنا لا أتكلم، أصل النهار زى الليل بالنسبة للنوباتجية أنا سهران على طول أنا ؟؟ واليهود يلفون فى شوارع القاهرة؟؟ واحد حبيبى مثلك أعطانى بلوفر بحالة جيدة يمكن لم يلبس أو لبس لمدة شهر أو مرة واحدة الله أعلم ولكنه بحالة جيدة فقلت لهذا البلوفر ثلاثة احتمالات

١ ـ أعطيه لابنى لأنه فى المعهد الصحى وأمه مطلقة وعندها مشكلة خيانة زوجية وهو عند خالته،

٢ ـ البسه وهذا غير معقول وعندى ملابس كثيرة،

٣ - أبيعه وتوجهت لأعطيه لابنى ولكننى بعته قبل أن أحضر إلى هنا ومررت على الدكتور ممدوح فى ميدان الجيزة كان يعالجنى من الأمراض العصبية بعد مشكلة الخيانة. وعلى فكرة كل الناس الذين يسيرون فى الشارع أو على هذا المقهى زوجاتهم تخونهّم ولكنهم طناش وكل واحد عامل مش واخد باله، من منهم يستطيع أن يتشرد ويصبح إبراهيم سمكة؟

قال لى الدكتور ممدوح: العلاج الذى أخذته ينسى الجمل اسمه، كيف تتذكر زملائك بالفصل الدراسى الأول بالابتدائى بالاسم الثلاثى إلى الآن؟

قلت له: اتفضل القهوة السادة

ولعلمك هذا الدكتور صعبان علىّ وأنا أمر عليه كل أسبوع لأسمعه الناس لن تأخذ شيئا من بعضها إلا المعروف، أنا لن أخسر شىء سأسمعه وهذا يجعله سعيدا.

صدقنى أنا كنت ممكن أصبح ضابط مخابرات أو دكتور أو محامى أنا مثقف وقارىء من طبيبك الخاص وخليل حنا تادرس حتى سارتر، وعاشق للروايات وكل الروايات تتلخص فى أربعة محاور إما أولاد مشكوك فى نسبهم ويبحثون عن آبائهم وخد عندك (أنت فين ياسيد يا رحيمى) مثلاً، أو خيانة زوجية وتبريراتها من كلا الجانبين، أو قصة حب وفشل أو عشق المحارم ملفوف فى البحث عن الحرية والذى منه، كل هذا يبعد أو يقترب من الذات والآخر والحرية والعدل والزحلقى والفسفسى وأى كلام كل سنة لها موضة جديدة ياحاج، ومرة واحد صاحبى قصدنى فى خدمة

- أولا ما هو الزحلقة والفسفسى؟

- أنت غير مثقف ولاتفهم ولكن سأشرح لك فى نهاية الجلسة الساعة

الواحدة صباحا ولا تسأل لماذا، واحد صاحبى ذهب إلى النادى الأهلى مرتين لرؤية أولاده ولكن الست التى كانت مراته لم تحضر وهو يريد ضم الأولاد إلى حضانة أمه، فقلت له ياسيدى : أحضر ورقة من النادى الأهلى أنك حضرت مرتين ولم تحضر الست وارفع عليها قضية بضم الأولاد إلى أمك لأنها مصابة أى أم الأولاد بنوبات هياج عصبى وسبق أن كسبنا حكما بأنها ناشز، وهذا لم يحدث بالمحاكم المصرية من عشر سنوات ولكن بفضل إبراهيم سحكة حدث، فى هذه الحالة سيتقدم خصمك المحامى تبعها بقوله أن مسكن والدتك بامبابه بجوار النيل ويخشى على الأولاد من الغرق فى النهر، فتغير سكن أمك وترفع عليهم قضية مستعجلة بإيداع الأطفال ملجأ ووضع أمهم فى مستشفى المجانين لمدة ستة أشهر تحت المراقبة، فيرفع محاميها قضية بجنون أمك فتحضر له الكشف الطبى أنها سليمة، فيرفع قضية أن حالات الهياج تأتى على فترات متقطعة مما يصعب على القومسيون تحديدها لهذا يطالب محاميها بإيداع أمك فى مستشفى الأمراض العقلية وبهذا تكون أمك وزوجتك بالمستشفى وأولادك بالملجأ وأنت عندك شقتك وشقة أمك يمكن أن تتزوج وتزور العيال أو تجن وتلحق بأهلك.

ونظرت إليه كان قد تركنى وقام واقفا يعبر شارع فيصل ويسير بسرعة وربما ليلحق بأى شىء وعندما هممت بالوقوف للنداء عليه، كانت يد توضع على كتفى

- أهلا.. والله أنا ماشى بالصدفة وكان طريق من ناحية شارع الهرم لكن لا أعرف ما الذى جعلنى أغير طريقى

- ازيك ياطه

- كويس الحمدلله، أين صاحبك الذى كان معك؟

ـ لم يكن معى أحد من الناس

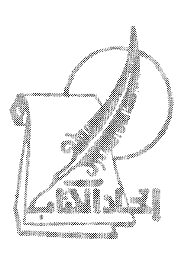
ـ كان يجلس بجوارك الآن

ـ آه إبراهيم سمكة؟

ـ نعم

ـ لا أعرفه

لم يتكلم طه وعدنا إلى البيت وحاول تجنب الحديث معى ودخلت إلى السرير ونمت.



(١٣)

فى الصباح قال لى الفجر تعال فخبأت رأسى تحت اللحاف، وقالت لى الشمس تعال فسمعت تشخير طه فنمت، وبعد آذان الظهر قرصنى الجوع وسمعت صوت الشيشة يكركر بها طه فى الصالة فقمت من النوم، وخرجت إلى الصالة وقلت له: مساء الخير يا طه

ـ مساء النور مشروعاتك؟

ـ إلى مقهى الأمراء

كنا جلوساً على المقهى عندما مر علينا يتأرجح متمايلاً ذات اليمين وذات الشمال، يدخل فى جلباب أخضر قصير محشور فيه حشراً، وفجأة عدل طريقه ودخل علينا

ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سأسألك سؤالين والإجابة بعشر قبلات منى لك

١ ـ ماهى الأرض التى لم تر الشمس إلا مرة واحدة؟

٢ ـ متى يعتد الرجل كعدة المرأة؟

الإجابة:

١ ـ أرض البحر التى فرقها موسى بعصاه.

٢ ـ عندما يتزوج أخت زوجته بعد طلاق زوجته أو أى من محارمها.

وذلك حتى إذا راجع زوجته لا يقع فى حرمة / الجمع بينهما حرام/

قام هاجما علىّ:

رحم الله والديك بما قدما إلى الإسلام من خير، هل تعطينى من مال الله الذى معك من الأوراق الكبيرة التى فى جيبك لأسدد بها ديونى؟

ثم مال على طه وقال له: أعطينى خمس جنيهات.

قال طه: لايوجد

لم يلح فى السؤال ولكن مرت شحاذة فأخرج كل ما معه وأعطاه لها، وهو متأكد أن أحداً لم يره. قلت فى نفسى - سلومة مرة أخرى -

* * * *

فى يوم الجمعة الأخيرة من رمضان الكريم، صليت الجمعة فى الجامع الكبير الذى أسسه محمد على وافتتحه مع قناطر التسعة هو و المهندس الفرنس وفى نفس هذا اليوم كان عمال المقاول إبراهيم زقزوق ينصبون عششهم وخيامهم بجوار عشش الصيادين على تفريعتى بحر مويس المنطلقة من القناطر باتجاه كفر صقر وبحر مشتول، فسأل الفرنسى من هؤلاء؟

قالوا: عمال إبراهيم زقزوق

قال: أنتم زقازوق

والتفت إلى الجهة الأخرى وقال من أنتم؟ قالوا: الصيادين.

فتم تدوين الأسماء كالآتى: قناطر الزقازيق، وما بين التفريعة الأولى كفر الصيادين، المهم يا سيدى أن المسجد الكبير هواؤه شرح وبرح ويرد الروح والخطيب عمك الشيخ سيد محترم جدا ولكنه يأخذ وقتا طويلا فى صلاة التراويح لهذا فنحن نصلى فى جامع الإخوان المسلمين سابقا وحاليا وفى المنتصف جمال عبدالناصر، وفى يوم الثلاثاء الموافق قبل وقفة رمضان يعنى ٢٨ رمضان قالى لى: محمد المهداوى (وهذا يستحق فاصلا من أجله) قال: عمك السيد أفندى قطب توفى يوم الجمعة اليتيمة

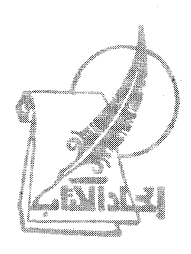
من رمضان فى ليلة القدر، حظه يا أخى،

قلت له: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله رحمة واسعة بما أسداه لنا من تعليم وللإسلام من انتشار وغفر الله له بما قاساه من الآم وجمعنا وإياه على المحجة البيضاء.

قال: تم فض العزاء من على الجبانة، ولا عزاء إلا فى العيد.

قلت: لا فائدة فى العزاء، نذهب فى الغيد إن شاء الله

* * * *



(فرحة الأوجاع)

لا السكاكرة هى السكاكرة ولا شر شيمة هى شر شيمة، ولكن بعض الناس مازالوا كما هم، البيوت الحجرية حلم الإنسان الجديد ووجعه فى غربته إلى بلاد الله، ومن ظل بيتهم بالطين اللبن فإنهم مسخرة البلد وبهذا فقد أخذنا نحن النصيب الأكبر من هذه المسخرة فى الخفاء ولكن لم يسأل واحد منهم نفسه من أين لهؤلاء الشرفاء بالآلاف التى تبنى بيت مساحته ستة قراريط ومتنازع فيه على إحدى عشر نصيبا من التركة، منهم خمسة أنصبة كل صاحبة نصيب تريد هذا النصيب لا يقل عن عشرة آلاف لتزوج العيال وتبنى الدار وتحج ثم تقرأ الفاتحة للوالدين إن أمكن، ناهيك عن الفضيحة التى تلقاها فى الشوارع إما غمزا أو صراحة من عدم إعطاء البنات ميراثهن الذى هو حلال أحل من اللبن الحليب؟

بالله عليك قل لى يا فالح يا بن الفالحة ماذا تفعل فى هذا الهم والغم والكرب العظيم؟

ثم تعالى معى إلى ما هو أهم، كل واحدة يا سيدى تقول لك فى السر: أنها تريد نصيبها لأنها محتاجة وتقول للآخر: لماذا الجرى وراء ملاليم؟ ثم ماذا لو ترك البيت ذكرى من رائحة الحبايب؟ وعيب قوى أن يقول الناس أولاد الأستاذ باعوا بيتهم ؟ حرام.

سامع هذا الكلام الطيب؟

ما رأيك أنه بعد عشرة أيام هددت البنات بعمل منشور يعلق على الجامع للإعلان عن بيع البيت ؟ ولابد أن يباع بأعلى سعر؟؟؟؟

— ....

— لا .. لا السكر ولا أى شىء أخر له علاقة بهذا الموضوع

مفيش ولكن ماله علاقة بهذا الموضوع، أنهم سيعتبرون أن هذا الكلام فضيحة أكثر من تعليق منشور على باب الجامع؟؟

سيقولون أن هذا الأستاذ الذى عمل فى سبع وزارات وربما هناك وزارة أخرى فى الطريق، لم يعد يعقل ويقوم بفضحنا فى كل مكان؟

وفى هذه الحالة سيعتبرون أنك تشهر بهم؟

وسترد الأخرى على القائلة (نفسى أكتبها القائلة) ستقول: طوال عمره وهو مجنون بالكتب، ربنا يكون فى عون زوجته.

وسترد عليها واحدة منهم لتقول: هى السبب، يعنى ماذا لو أقنعته بالسكن فى البلدة وشراء ميراثنا فى البيت وهى معها فلوس محوشاها على قلبها من سفرها إلى الخارج خمس سنوات، وستمصمص إحداهن شفتها وتقول: كلهم سافروا إلى الخارج ومعهم فلوس وأى واحد منهم يستطيع شراء البيت وبيت مدير الأمن لو أمكن لكن العند.

ربما تقول لى أن هذا الحوار الذى لم يحدث هو ابن خيالك، نعم ولكن ما رأيك انه لو حدث فسيكون أكثر من ذلك بمراحل

ثم إن خيالى هذا هو وليد معرفة جيدة بهم صهرتها السنين والتجارب حتى طلبت من الله أن يلهمنى القدرة على فهم ما يريدون بالمقلوب حتى أستريح، وعرضت عليهم ومازلت أعرض التنازل التام عن كل شبر ومليم من وراء هذا الموضوع، ولكن الشهامة والكرامة والذى منه تصدر فى شكل أصوات: لا لا لا حرام ومن سيقبل على نفسه؟.

* * * *

(البعيد)

لما دخلت إلى المسجد لصلاة المغرب وتوجهت إلى القبلة ورفعت يدى بالتكبير هجم على حزن غريب جعل الدمع يتأرجح فى جفونى ففوضت أمرى لله.

قلت لنفسى تحمل كلها سنوات قليلة وتموت وتترك لهم ما لم تأخذ وقلت هذه مجاهدة وتذكرت (إذا بلغت به الإرادة والرياضة حدا ما، عنت له خلسات من اطلاع نور الحق لذيذة كأنها بروق تومض إليه ثم تخمد عنه .... ، ثم أنه تكثر عليه هذه الغواشى لذا أمعن فى الإرتياض ثم أنه يوغل فى ذلك حتى يغشاه فى غير ارتياض، فكلما لمح شيئاً عاج منه إلى جنات القدس فيذكر من أمره أمرا، فيغشاه غاش، فيكاد يرى الحق فى كل شيء، ثم أنه لتبلغ به الرياضة مبلغا ينقلب له وقته سكينة، فيصير المخطوف مألوفا، والوميض شهابا بينا وتحدث له مستقرة كأنها صحبة مستمرة، عند ذلك يستمر فى مدراج الرقى إلى النيل بأن يصير سره مرآة مجلوة يحاذى بها شطر الحق، وحينئذ تدر عليه اللذات العلى، ويفرح بنفسه لما بها من أثر الحق، ويكون له فى هذه المرتبة نظر إلى الحق ونظر إلى نفسه وهو بعد متردد .... ثم يغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط. وإن لحظ نفسه فمن حيث هى لاحظة ... وهناك يحق الوصول).

مخطوف من روحى لا أكاد أصل إليها إلا ووجدتها بعدت وكأن لم تكن؟!

قلت مالى مخطوف منى، معارج هى المسالك فاعرج إلى ذاتك لعلك بالغ ما لم يبلغه الإنسان الفرد فى ليل داج، قل لى لعلى سالك سبل السلام إلى مدينة الأحلام؟

قلت: لا صوت يرد علىّ، ولا أى صوى ؟؟؟؟؟؟

متى يحق لى الوصول ويندمج الواصل بالموصول ويبلغ عتبة فرحه بنفسه ويغيب فيصل إلى قدس الأقداس؟؟؟؟

(١٤)

لم أجد محمد المهداوى هذه المرة ليذهب معى إلى شرشيمة لبيت عمى السيد أفندى قطب، فأخذت نفسى وتوكلت على الله وركبت الميكروباص بعد الإفطار وصلاة العشاء والتراويح ودخلت البلدة بعد دخول الليل بكثير.

نفس الطرقات وإن كانت قد ضاقت كثيرا وقصرت بيوت وارتفعت بيوت الحجر الأحمر وأصبح علامة دالة على الاحترام (افهم أن بيت والدى مازال بالطوب اللبن،) ناديت على الباشمهندسين والضباط (لا تتعجب إنها إرادة الله أن يكون ابن السيد قطب ضابط حربية ولكن فى عهد الرئيس المؤمن) دخلنا وسلمنا وامتد حبل الكلام والسلامات والذى منه وقالوا المرحوم أوصى بعدم عمل مأتم وإنهاء العزاء من على الجبانة وقد كانت، والحمد لله أن الأمور عدت على خير فقد كانت الحكومة كلها تحضر جنازة عمك سيد أفندى قطب.

- كيف؟

- بعد الغسل والتكفين خرجت خارج الدار فرأيت الساحة قد فرشت بثوب أبيض كبير، كلها جلاليب بيضاء وعمائم بيضاء ولحى بيضاء وسمراء وبين بين وقد حمل كل منهم مصحفا وارتفعت الإبتهالات (يس

والقرآن الحكيم) وأهل البلدة حولهم وفى وسطهم والحكومة بالمخبرين والأمناء (جدا) للشرطة والضباط ومختلف درجات الصف ضباط وعرباتهم بالأمن والسلامة المركزى كلهم حضور يطوقون الجميع.

- غفر الله لك ياعم السيد ياموحد الإخوان مع البوليس

- وانتقل الموكب إلى المسجد وبعد الصلاة شيعت الجنازة، وبعد الخطب والدموع انصرف الحضور وبدأت سيارة الشرطة فى القبض على حضور الجنازة وتكديسهم إلى مديرية الأمن وكان السؤال / من أخبركم بوفاة السيد قطب؟؟؟؟/ كانت الأعداد كبيرة حتى إن ضابطا كبيرا يحمل على كتفيه ما بين ربع كيلو إلى ٣٥٠ جرام نحاس قال لزوجته بالتليفون معلش أصل واحد مات والتحقيق مستمر.

نعم ربنا يسهل تتعوض والعيد باقى عليه ٤٨ ساعة.

قلت له : ياباشمهندس هذه أجيال تسلم بعضها الراية، وجعلكم الله خير خلف لأعظم سلف

- البركة فيكم فأنتم آخر الأجيال المحترمة.

سلمت عليهم وانطلقت كانت أضواء الكهرباء قد أضاءت الشارع حتى كوبرى الميرى الذى كانت المياه به قليلة ومعظمها من صرف البلدة وتعوم على مياه الطفح كميات من قش الأرز والجثث النافقة.

* * *

العذاب هو العذاب والناس هى الناس وحب الظهور ولو كلص موجود فى أم النفس البشرية/ مثلا الذى يفخر أمامك أنه ملحد هو نصف حمار لا يعرف ملحد من مؤمن ولكن هو يفعل مثل الناس وحسب الموضة/ أو كالذى يذهب إلى السعودية فيعود وقد أطلق لحيته وتدلت رقبته وأصبح فى حالة لا يعلم بها إلا الله.

تكون فى دارك فيأتى لك شاب أمرد واخضرار الشباب تحت أنفه فأغوى به، ليسألك/ هل أنت شيوعى؟/ فتبتسم وتقول له أنت شايف إيه؟ فيقول لك أنت القدوة فإذا كانت التجربة قد تعرضت لاختبار عنيف فى الوطن الأم فليس معنى ذلك نهاية التجربة أو عدم صلاحيتها ثم يقوم فيشـد على يدك قائـلا تأكد ياأسـتاذ أننا أمامـك وعلى الـدرب سائرون،،،، ؟؟؟؟؟ لا حول ولاقوة إلا بالله! هذه هى مصائب الزمن ولست أدرى أى درب هذا الذى هم سائرون عليه؟

كنت فى كل تلك الحالات أحس أن هناك شئ ما يقلقنى بشدة، مثلا هل يمكن أن أكون أنا مثلا واحد من الذين أسلخ فروتهم بالنقد المهذب هذا؟ وطبعا الإجابة فى نفس السطر لا، ولماذا؟ فى نفس السطر لأنك لم تتسلم منصب ولا صفحة فى جرنال ولا عضوية شئ وهمى ولم تسافر إلى بلاد الله التى بدل السفر لها يغنى الفقير الدقة، ولم تحضر لتسأل الرئيس فى اللقاءات أية أسئلة/ شوف الأحلام والطمع؟/ كيف لنا من أصله يصرح لنا بالمرور من أماكن تواجد الرؤساء (والله العظيم نفسى أسأل سؤال بسيط وليس خبيثا) لماذا يناصبنى العداء كل من تولى مركزا أو مكانا رغم أننى لا أريد منهم أى شئ؟؟؟ ومن أجل كل ماسبق فأنا على حق وقد تحدد هدفى فى دراسة حالة سلومة بشكل عميق، واستكمال أجزاء الثقافة المصرية من ١٩٦١ حتى أن أموت وموثق بها أغلفة الكتب والجرائد والمجلات واعترافات بعض الأخوة العرب بخط أيديهم

* * *

(عود على سلومة)

هل يمكن أن يكون سلومة هذا من وحى الخيال؟

أو أن أشواقى لإنشاء قبيلة مصرية خالصة العرق هو الذى... كيف يمكن هو الذى وسلومة كائن حى يتنفس ويعيش أمامى، ولا أريد أن أشغل بالى بالذى يمكن لهذا السلومة عمله ولا ماذا يريد لكن ما أريده هو قراءة هذه الأوراق التى دسها سلومة فى حقيبتى عند سفرى قائلا: لعلك ترى

أوراق سلومة التى دسها فى حاجياتى يوم أن عدت من مولد سيدى الروبى

الورقة الأولى

للحقيقة فليست الأوراق متسلسلة ولكن هذه الورقة الأولى التى واجهتنى فى لفة الأوراق التى دسها لى سلومة فى قفة العيش.

كانت سنة طويلة من أيامنا الأولى وقد أصبحت معيدا بالكلية وانتهيت من الدراسات العليا وأعمل مع الدكتور سيد عويس فى بحث (رسائل إلى الإمام الشافعى) وقد استقر الأمر على الذهاب إلى الغرق لمقابلة (إبراهيم جمال الدين حمد الباسل) أصل السلالة، وماكنت أدرى شيئا عن كيفية الوصول، وأين هو، وعادة مايقولون الغرقَ أوطامية وبعد ذلك تكون الجيزة، لكن ما يرهبنى حقيقة هو، ماهو شكله ملامحه طوله عرضه، ماذا يريد؟ كل شئ كتبته له حسب تصورى ومن أبحاث الدكتور أحمد شوقى والدكتور مستجير فى الهندسة الوراثية ثم ماهى درجة تعليمه حتى يلم بكل هذه المعلومات شديدة التخصص؟؟ فقط أنا أسأل

أنا الآن وصلت إلى البرم وبعد صلاة العشاء حضر جمال ومنير وقرنى ومعهم عربة جمال الخاصة بالوزير وركبنا بعد شرب الشاى والعشاء

وكنت قد استأذنت الدكتور سيد عويس فى السفر إلى الفيوم فنحن فى أول الشهر ففهم الرجل وقال: يومان؟

قلت : يعنى

قال : لا تتأخر

قلت : حاضر

وركبنا العربة وقال قرنى : الغرق، سارت العربة ولكن الطريق تغير وسارت فى طرق أخرى لم أعرفها والجميع فى صمت غريب وبعضهم نام ولم يلتفت منهم إلىّ أحد، وقلت فى نفسى ما هذا الغرق؟ استقبلتنا الصحراء، حضن واسع لا حدود له لامرأة نائمة عارية على ظهرها مفتوحة لك إلا من تبابها وسهولها وهى تناديك، قد لا ترى عينيها ولكن تحس إنك مرئى وحولك آلاف الأذرع التى تحضنك وتريد فقط أن تضمك ما عليك إلا أن ترمى نفسك فقط وهى ستتكفل بالباقى

كان عوائى المتقطع من اقتلاع الروح بأصابع عدم الرحمة لجبارين، والكون فى صمم وأنا أحاول الإمساك بآخر رمق من الروح، كانت الأصابع تجرجرنى من وسط حجرتى وأنا أنظر إلى الكتب وأستغيث، وأشخاص أعرفهم تتسلل من وسط الكتب وتكتب على الجدران بنقوش مثل خراطيش قدماء المصريين وبكل هدوء يمدون أصابعهم بريشة من عظمة قدمى ويغمسونها بمنتهى الأناقة فى دمى وأنا أصرخ بالصوت الغير مسموع.

وكانوا من الدقة بحيث أننى فقط كنت أراهم وكانوا دقيقى التكوين يتكلمون لغة إشارية فى جمل طويلة تتدخل مع الكلام حركة اليدين والكتفين والوجه والأصابع، وكانوا كلما انتهوا من تمام كتابة مقطع يحيون بعضهم بتحيات شعوب قديمة.

كانت معهم ستى الست والحاجة كعب الخير والمقدسة دميانة وكل من جميانة وتريزة وهما شقيقتان بنتا الحاج عبد الباسط صبره الذى أخذ أسماء بنات صديقه جورج ثابت عند موت بناته تخليدا وحبا، وكانوا يتحركون بلا ثقل كأنهم هلاهيل قماش قديمة خارجة من فوق لفائف موميياء من الدفن تكاد تقع من هبات الهواء

وكانوا يرتفعون مع أسطر الكتابة إلى أعلى بشكل سهل جدا وأنيق ورغم أنك تراهم معلقون فى الهواء إلا أنك تحس أنهم ثابتون تماما،

وكنت كلما صرخت حضرت وفود منهم وشاركت فى العمل وكلما كففت عن المقاومة تتبدد طوابير منهم وفى عيونهم نظرة عتاب وعندما فهمت كانت روحى قد غادرتنى من برهة فلحقت بها وظللت أصرخ باستمرار وهم يتكاثرون ويعملون بهمة شديدة...)

أحسست أن أحد يهز رأسى بعنف ففزعت كان منير يزعق فىّ صحى النوم وصلنا.

ولكن العربة كانت سائرة فقلت : أين؟ قال بعد هذا التل خلفه مباشرة.

دارت العربة ثلاث دورات ثم استقرت ونزلنا فى صحراء ممتدة لا أول لها ولا آخر ثم تم عصب أعيننا بيد قرنى ثم ركبنا السيارة وتولى قرنى مهمة السياقة،

مسافة بسيطة ثم توقفت العربة وتم سحبنا وكان الانتقال من مكان إلى مكان حتى نزعت العصابات من على أعيننا.

الحجرة فسيحة وطولها مبالغ فيه لدرجة إنك تتوهم دائما أن هناك آخرون معك فى الحجرة، جلسنا جميعا ثم تم استدعاء منير وقرنى ثم جاء دورى للمثول بين يدى أحد أحفاد حمد الباسل، الذى حفظنا صورته بالتمام والكمال وهو واقف كالألف.

دخلت الغرفة وأنا أعد نفسى لاستقبال الحدث ماذا سيقول

- اشرب

ناولنى واحد من الوقوف إناء به لبن فشربت حتى آخره وحمدت الله

- تفضل

سرت وحدى خلفه ثم توقف وفتح الباب،

على سرير فى نهاية الغرفة الصغيرة الضيقة جدا كان الجسد يرقد لا يكاد يتحرك من تحت الأغطية. أشار إلىّ ذهبت إليه بسرعة إنه هو، لا يمكن أن تكون الصورة أصدق من الآن هو هو، إنه هو حمد الباسل رغم كل هذه السنين.

- أبقت محبوبة لى عمرا مديدا حتى القاك، المهمة صعبة ولكن أنت خلقت لها، افعل ماتحسه يمر عليك كعفو الخاطر ولا تسأل عن النتائج لأنك لن تعرف فإن خسارة الآن مكسب غد.

كنت أنتظرك فقط لأراك، إنه أنت والحمد لله لرب العالمين وشكرا لمحبوبة ولعلها مبسوطة الآن، خذ وناولنى كتاب وكيس به ستة وخمسون عظمة لإنسان وقال دليلك ومرشدك، ثم استدار إلى الجهة الأخرى وارتعش فذهبت إليه كان السر الإلهى فى طريقه إلى السماء...

لتمته وقرأت عليه الفاتحة ويس وتبارك، وربطتُ فكيه بأعلى رأسه بشريط قماش كان بالحجرة ثم فتحت الباب وخرجت.

- البقاء لله، جهزوه للغسل

لم يستغرب أحد ولكنهم قالوا: الحمد لله تم كل شئ كما أرادت محبوبة.

جلست هادئا والعمل يتم من حولى حتى تم استدعائى أخيرا كان كل شىء فى تمام كماله وكذلك القمر.

قلت لهم: الدفن قبل طلوع الشمس

لم يتكلم منهم أحد ووضع منير على كتفى العباءة وسلمنى العصا بعد أن أحضرهما من جوار عرش المتوفى وقال: كلمة بقيت،... وقبل أن ألتفت إليه قال: تفضل. خرجت معه سائراً، استوقفنى وقال: بعد عشر خطوات إرحل، فتحمل، وتجمل، ولا تخف. خيمة فى الهواء نبتت بعد استدارتى من كلامى لمنير وسرت إليها عشر خطوات فانفتح الباب وقالت: ادخل لم تكن إلا هى،

كشفت وجهها، عروس فى ليلة جلوتها وقالت : أنا هى محبوبة، خذ وشدتنى إليها وقبلتنى فى عينى ومفرق شعرى، ثم أعطتنى سكينا وورقة ملفوفة

قالت: سم، للحظات الأخيرة، اربطه على بطنك وعندما هممت بربطه ساعدتنى ثم استدرت عنها لأعدل ملابسى والتفتُ وجدتنى فى العراء وحدى ولا أى منير ولا شئ.

عدت بالحدس حتى وصلت إلى المكان، كانت الشمس على وشك الطلوع فسرنا بالجثة وكنا اثنى عشر نقيبا وأنا.

وصلنا إلى مكان ما فحفروا وقالوا: بجوار قبر حبيبة.

فقلت يدفن وحده لا تدفنوه فى قبر منير. قالوا: نعم

انتهت عملية الدفن وأشرقت الشمس على ملكوت الله وعلى الإنسان ولكن كنت أحس أن عمرى مئات السنين والتزمنى سمت غريب من الصمت والتدبر والتفكير المستمر.

(انتهت هذه الورقة كاملة واضحة بلا أى كشط أو أثر لمرور السنين إلا أنها مكتوبة بالحبر السائل المصنوع من الصمغ وبذور السنط ويسمى حبر القرض وهو يستعمل فى كتاتيب تحفيظ القرآن.)

الورقة الثانية

قطعة طويلة من الورق ملفوفة بعناية تشمل رسما توضيحياً لكل المناطق المراد تكوين السلالات بها فى الفيوم وحتى حدود ليبيا وبهذا يكتمل الربع الأول، والنصف الثانى به عدة مناطق عليها باقى المناطق على مستوى الوطن العربى وتشمل مراحل مختلفة الألوان ولم أستطع ترتيب الألوان كمراحل، أما الربع الباقى والأخير من الورقة فيه رموز توضح أماكن انتقاء السلالات، وكيفية تكوين الأجيال من الجيل الأول حتى الجيل العاشر لتأصيل آباء الانتقال، وانتقاء الهجن ذات السلالات صاحبة الصفات المطلوبة، كما دون عليها عدة أرقام منها ما هو مكرر ومنها غير ذلك وإن كانت الغلبة فيها للصفر والواحد الصحيح، ولكن لم أستطع فهمها ولا دلالتها، فقررت الانتقال إلى الورقة الثالثة.

(الورقة الثالثة)

ونوح هو أول من قسم الأرض بين أولاده

١ـ سام أعطاه بلاد الحجاز والشام وهو أبو العرب والفرس والروم وأعطاه قبل كل هذا بلاد اليمن أم السلالات وأصل الأشياء.

٢ـ حام أعطاه بلاد المغرب وهو أبو السودان والبربر والمصريين وما يسمون بالقبط.

٣ـ وأما يافث فأعطاه بلاد الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وهى كبلاد المشرق

تلك هى بدء السلالات وأصل تكوينها ولهذا تبدأ الورقة الثالثة هذه دراسة مستفيضة متضمنة خطتنا التى تتكون من تزاوج الهجن وإنتاج السلالات بالشكل البسيط الأولى للبراءة وذلك بافتراض أن الآباء الثلاثة هم مكونات أساسية لأمهات شبيهة بهم من الصفات الوراثية الخالصة

بمعنى الصفات متماثلة نقية ١٠٠٪ أى أن عامل الجنس هو الوحيد المختلف وبذلك يكون الجيل الأول هو الآباء أيضا فنبدأ من

١×٢ ، ١×٣ ، ٢×٣

س ص ع

على اعتبار أن س تتكون من س١، س٢، س٣، س٤ ، وص تتكون من ص١، ص٢، ص٣، ص٤، وع تتكون من ع١، ع٢، ع٣، ع٤ فيكون تكوين انتخابى أولى بحيث يوضع جدول انتخابى للسلالات مدون به صفات كل فرد فى التكوين وملكاته مع الالتزام الضرورى بالمساواة فى كل الظروف الأخرى مثل التربية والنشأة والمناخ.

ثم تبدأ مرحلة الأقطاب وهى س١ ×ص١، س٢ ×ص٢، س٣ ×ص٣، س٤ ×ص٤

س١ ×ع١، س٢ ×ع٢، س٣ ×ع٣، س٤ ×ع٤،

ثم ص١ ×ع١، ص٢ ×ع٢، ص٣ ×ع٣، ص٤ ×ع٤

ثم يكون ناتج هذه العملية من التزاوجات واحتمالاتها تكوين منتج محتمل مقترح رباعى من كل تزاوج، وهنا تبدأ مرحلة الانتخاب الأولى الحر مع إعطاء فرصة للصفات المتنحية للظهور لأننا سنحتاجها فى أمر آخر،

ثم نوالى عمليات التزاوج مع العلم أن كل أب من حام وسام ويافث متعدد النسل من عرب وروم وشوام ونحن نزاوج رجالا ونساء، والأفضل أن يكون الرجال من طرفنا وإن كنا هنا لا نفرق بين رجل وامرأة للعبور إلى الإنسان الأعظم.

وقد تم تقدير مائتين من السنين حتى يمكن أن نمسك بأيدينا آباء عظام وأمهات مقتدرات.

مع ضرورة الأخذ فى الاعتبار بالانتخاب دائما.

وإذا ما كان هذا مقترحا مبدئيا فلأننا طالبنا بك وبآخر له تخصص بعيد فى هندسة الأجيال وسيتم التعاون بينكما قريبا.

أما عملك أنت فدراسة المجتمعات التى سيتم التزاوج فيها ومنها أليس تلك دراستك ياسلومة ؟؟؟

(الورقة الرابعة)

الرحلة الأولى

سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية كل من (مدرج ٢٧ اسما)

١٧ نساء، عشرة رجال وذلك لدراسة

١ـ درجة الدكتوراه فى الهندسة الوراثية

٢ـ درجة الدكتوراه فى التاريخ.

٣ـ درجة الدكتوراه فى طب المناظير

الرحلة الثانية

يسافر إلى السعودية وسلطنة عمان كل من :

(مدرج خمسة وأربعون اسما)

منهم ستة وثلاثون سيدة والباقى رجال موزعون على المواد الآتية:

اللغة العربية، الدين، الرياضيات، والموسيقى، التربية الرياضية، اللغة الإنجليزية، اللغة الأمهرية.

الرحلة الثالثة

مدرج بها خمسة عشر اسما لدراسة الدكتوراه فى الطاقة النووية، والكيمياء، والمحاصيل، وعلم النبات، والمياه والرى.

وهم تسعة رجال وستة نساء.

الرحلة الرابعة

ومدرج بها خمسة وخمسون مدرس ومدرسة وطبيب ومدرب كرة طائرة وقدم وسباحة وطبيب أسنان موفودون بعقود وإعارات إلى كل من :

الإمارات العربية، الكويت، الشارقة، اليمن، ليبيا، الصومال، نيجيريا .

الرحلة الخامسة

ومدرج بها ألفان وستمائة وخمسة وسبعون مابين ممرضات وممرضين وحكيمات ومسعفين ومدرسين وأطباء ومزارعين وخدم وحراس منشآت ومندوبى إعلانات وعاملين بالجيش وصحفيين ومصورى تليفزيون وسينما وكل العمالة الفنية السينمائية وغير ذلك.

الورقة الخامسة

وهى عبارة عن مجموعة أوراق كالآتى : -

١- مجموعة إيصالات بقيمة تحويلات العاملين بالخارج لمدد منتظمة، كل فرد فى مجموعة مستقلة.

٢- مجموعة أوراق مصاريف بناء بيوت وأجور عمال وأثمان الطوب والرمل والزلط والحجر الدبش الأبيض.

٣- مجموعة أوراق بتكاليف زواج مجموعات من الرجال والبنات كل فرد له حسابات مستقلة.

(كان بودى استكمال كافة الأوراق التى تركها لى سلومة ولكن اضطرتنى الظروف للسفر إلى القاهرة) إذا كان لابد من السفر إلى القاهرة فلابد أولا من الاتصال بطه طنطاوى، وطه طنطاوى أسطورة شباب السبعينات فهو واحد من قبيلة امتدت من هندسة القاهرة ثم تجارة القاهرة وأماكن تمركز طه لتضم فى عضويتها نبيه الصعيدى ورضا الديب وهاشم توفيق وحسين عيد وقبائل من النساء والرجال والولدان

ناهيك عن ذلك البيت الكبير أساس تكوين هذه القبيلة ووجود الماما به والمحبة الكبيرة التى تفرش ظلها على القطر المصرى وترخى سدولها على ما جاوره من أقطار.

وسافر طه بعد دروس وهزائم السبعينات متلفعة بانتصارات وهمية مبنية على أغانى الشيخ إمام وحماس ثورى داخل قاعات، مع بعض الأمسيات الشعرية مع سب السادات شخصيا وسياساته، والسادات مستمر فيما صوره له خياله الرشيد من سداد الرأى وقوى العناية الإلهية.

سافر طه إلى السعودية وعمل كمحاسب واستمر بالعمل بها إلى أن عاد واشترى شقة فى عمارات منتصر بفيصل وكل واحد منا سواء من القبيلة القديمة أو الجديدة يحس أن هذه الشقة شقته وأن كل شبر فيها ملك لنا جميعا ونحس بخصوصية شديدة داخل هذه الشقة وكأنها ملك خاص لكل منا، من هنا كان لابد من المرور على طه.

طه عجينة من البشر تحب الناس والسيادة والإدارة والعظمة والتواضع، ورغم أنه عضو مهم فى حزب التجمع إلا أنك تحس فى بعض تصرفاته بميول إقطاعية، ولكن أهم ما يعجبنى فى طه أن معظم من صادقهم كان خاطئاً. وكل الذين أمن لهم خانوه وأنهكوه ماديا ثم تقولوا عليه، وكل من أساء لهم أحبوه وغفروا له لأنهم يرونه ويرون من حوله. ولكن طه لا يقبل النصح.

مريت على بيت الحبيب والجرس يرن وأنا أنهج من السلم ولا أحد يرد لمدة ربع ساعة ثم سمعت زحفا خلف الباب و... ترك ... تر... ك فتح طه الباب وأطل بهيأته البهية

ـ مرحبا

ـ نائم ياطهطوه؟ سلام عليكم

كان طه قد تركنى ونام داخل كل البطاطين،

أقفلت الباب واتجهت إلى المطبخ ووجدت طه قد أهلك كل المواد التموينية بالمطبخ، فتحت الباب للخروج نادى طه:

خذ نقود من فوق الكومودينو

خرجت ولم أرد عليه وعدت محملا بالفول والعيش والطعمية والمعسل والشاى والسكر، لأجد طه يدخن الشيشة ويضحك بسعادة بالغة وفى منتهى النشاط والانتشاء.

ـ عندما وجدتك لم تأخذ النقود لبست ونزلت لشراء حاجيات كثيرة للمطبخ فقد كنت مسافراً وعدت ليلة امس، الفطار ياأستاذ، صباح الخير وأزيك.

* * *

لما بلغ بنا السن ما بعد حدود السكة الحديد عرفنا أن الزمن قد مضى ولم يعد فى العمر بقية، وكنت كلما قلت: لأمل دنقل والله العظيم بكرة تفرج كان يقول: والله العظيم انا مبسوط جدا من تفاؤلك وهو شبه تفاؤل طلعت شاهين، يا حبيبى عندما يصير سنك ثلاثين عاماً ولم تحقق ما تريد فلو جاءك ماتريد بعد ذلك فالعن أمه ولا تسمع له لأنه سيهينك وتكون كالعجوز المتصابى الذى يعيش فى غير عمره أو بالأصح كسمك الزينة المحبوس فى الأحواض أو كخيول المتاحف

وكان يحى الطاهر عبد الله يعلق من بعيد: الحمد لله الذى حرمنى من كل شئ ولم يحرمنى نعمة الخيال.

ولهذا كنت كلما نظرت إلى طه وعرفت عزمه على عدم الزواج وفتح شقته لقبيلة المثقفين وصرف ماله عليهم كنت أقول فى نفسى هذا الرجل شيخ

طريقة بعثه الله لنا حتى لا ننام على الأرصفة والحمد لله الذى وضع الرحمة فى قلبه ورفع من نفسه الغضب وحب النفس،

كنت أتامله صامتا وهو يكركر فى الشيشة ويستغرق فى بحر أفكاره وأنا أنتظر أن يعزم علىّ ثم يستدرك معلش.

أيام غريبة وعجيبة فطه بسبعين ألف جنيه فى السبعينات هو هو نفسه طه بلا نقود كثيرة أو تامين حياة كامل فى التسعينات رغم السن والسنين ياسبحان الله.

قال لى صديقنا الناصرى شديدالناصرية ونحن فى شقة طه : إن جمال عبد الناصر هو الرئيس الوحيد الذى لم يحفل بتزيين بدلته العسكرية بالنياشين والرتب والأوسمة والشرائط والأنواط والزهور والأركانات ونياشين مجهولة الهوية كأقراط النساء، وأن تمتلئ بدلته بالقلائد الذهبية.

قلت له: ربما رجع ذلك إلى أن معظم حكام العالم التاسع أولاد لأمهات فقيرات لم تلبس واحدة منهن الذهب فى حياتها، وإن كانت قد رأته، فلما صار لها ولد وهو أكبر رأس فى البلاد حملها معه وظلت بداخله فلبس لها الذهب والنياشين والأبهة وكأنه يكافئها أنها أتت به إلى هذه البلاد ليحكمها، وذلك ليعوضها عما كان من عدم الإمكان، والمراجعة بالأسئلة فى عدل الله فى قسمته بين الناس.

لكن جمال عبد الناصر هو نفس هذه الحالة لكن بطريقة أخرى فهو مشكلته فى رأسه، لأنه يرى الناس طوال الوقت حتى أحس أنه الناس وأن الناس هو، وأنه نيشان وقلادة فوق التصور على صدر هذا الشعب وضعتها يد العناية الإلهية، لذلك كانت تمتد يد العناية بالنيشان على كل من أفريقيا وشعوب العالم الثالث.

والحمد لله كثيرا أنه لم يرزقنا بحاكم يفهم فى الأدب والنقد، وإن كان

حبيبنا الجميل الأستاذ عبدالرحمن فهمى قد أكمل وهذّب رواية فى سبيل الحرية التى كتبها جمال عبدالناصر إلا أن عبدالناصر لم يفعلها ثانيا، فالحمد لله رب العالمين فالله ينزل البلاء على قدر احتمال العباد؛

لو كـان لنا رئيـسـا يفـهم فى الأدب أو النقـد أو الفن التـشكيلى والموسيقى.. والله لضاقت علينا الأخيلة

ولكن المؤمن كان طبيبا وصحفيا وعالما وضابطا و... رحم الله الجميع

ـ وكان ابن بلد وابن سوق

ـ أى بلد وأى سوق؟؟؟

ـ لن أرد عليك لأن له نظريات فى السياسة وفلسفة السياسة وألف كتب وكتيبات

ـ هذا رجل يعتقد أنه يوحى إليه وأنه ملهم، فكيف يمكن التفاهم معه، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما حدّث الناس بأمر الوحى، فقد كانت مرجعيته لديهم حياته فى وسطهم حتى سن الأربعين وأنهم لقبوه بالصادق الأمين فلم يكذبوه ولكن عاندوه.

هل تستطيع أن تقول لى ماهى مرجعيته عند الناس؟؟

هل هى تصرفه ليلة قيام الثورة أو الفلوس التى بنى بها جمال عبد الناصر برج القاهرة، رحم الله الجميع ياسيدى.

ـ حتى لو كان ماتقوله صحيحا فيكفى أنه لم يخفٍ عنا شيئا ولكننا لم نصدق أنه جاد أبدا.

ـ نعم ... لك الحق لقد قال لنا يمر قطار الانفتاح من فوق أسرة نومكم ويصيبكم رذاذه ولكننا لم نصدق، وعندما لعب بالثعابين فى الجامعة قلنا مناورة محسوبة.

وعندما قام له الولد الملتحى وأطلق عليه الرصاص لم نصدق أن ينكسر

التاريخ الفرعونى بقتل الإله الحاكم وسقوطه بلا قداسة،وتاكدنا أن سوار الذهب حاكم السودان العسكرى الذى تنازل عن الحكم طواعية للمدنيين شئ نادر وغير قابل للتكرار فى بلاد العالم الثالث وربما فى العالم.

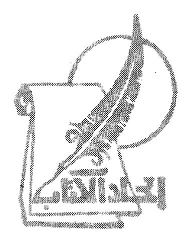
لذلك فعندما نكتب نجد أن الواقع قد سبق الخيال بكثير، ورغم ذلك فان ميلان كونديرا يرى أن الجنوب وهى البلاد الواقعة تحت خط عرض ٣٥ تملك من الخيال المركب مايدفع الرواية بتاريخها إلى مراحل مجيدة مناقشا بذلك رواية سلمان رشدى (أطفال منتصف الليل) وكذلك (آيات شيطانية) وهذا المقال منشور من أيام تحت عنوان / وصايا مغدورة/.

ومن هنا ترى إلى أى حد وصل بؤس الترجمة التى لم تقدم إلى الآن الكتاب الذين يكتبون داخل الكتابة وليس خارجها وهؤلاء يحاربون فى كل الأقطار فهذا زمن الردىء فى كل شئ.

المهم يا سيدى أجبتك عن سؤالك عن عبد الناصر وشددتنى للكلام عن الأدب

- الشاى واقترب لأن اللىّ لن يصل عندى

- حاضر ياطه



بسم الله الرحمن الرحيم

ماتت أمى وانتقلت إلى الرفيق الأعلى.

أمى يا عاطف التى كانت ومازالت تغنى لى (يا عطارين دلونى الصبر فين أراضيه؟) والتى كانت تغنى لى وأنا بكلية الزراعة (يا صحرا المهندز جاى *** يرويك بعيون المى) ماتت نهائيا ولن تعود إلى بيتها بالسكاكرة ولن تنادى على حميدة أم سنة زوجة ابن عمى حسينى؟ هل تصدق يا عاطف؟؟

لن تجلس فى حديقة المنزل وتعمل القهوة الجميلة على السبرتاية وتنتظر هناء بنت أختى لتفطر معها، ولن تنتظرنى عندما أعود لها ليلا وتتركنى لتلاعب ابنى ولتلاعب زوجتى بالحوار وتدير المذياع على محطة القرآن الكريم، ولن تحكى لنا عن مواجهتها للحياة بعد أخذ أبى بعيدا، لن تحكى لنا عن الصداقة الطويلة بين أبى والشيخ نجيب وحكاية لسان العصفور ومطعم احمد أبو بلاسى بأبى كبير، وصداقة أبى وعمى الشيخ إبراهيم أبو حرب والأسماء التى كان يطلقها علينا وحضوره لطهورنا ويذبح الضحية فى العيد والذبائح فى المناسبات وصداقة الثلاثة بسعد أفندى الأعصر،

ماتت أمى ولها شهادة وفاة ودخلت إلى الجبانة وحدها؟

ولا واحد منا نحن أولادها الجبناء ذهب معها وتركناها تذهب لتلك المقابلة التى لايعلمها إلا الله؟

حتى بنات العائلة ونسائها هم الآخرين اكتفوا بالبكاء وعادوا إلى بيوتهم ويمكن تعشوا وناموا مع أزواجهن؟؟ شايف ياعم عاطف الحياة وزعلان انك باليمن السعيد؟ وخايف من الموت فى الغربة؟

ونفرض انك مت فى وسط عائلتك؟ ماهو الفرق؟ يا أخى تركنا أمنا وحيدة تدخل القبر وبمنتهى الجبن وحب الذات عدنا إلى منازلنا وبعد شهور نسينا وبعد عام سنتذكر مناقبها ونبحث عمن سرقت أو سرق ذهبها ونحاسها، وبعد عدة أعوام ستصير مادة للتريقة والسخرية واللعنة وبعد ذلك بشبر واحد ستقع بعيداً فى آبار النسيان ونستعيد اسمها كأم عندما نكتشف أن كل الناس لها أمهات فمن الضرورى أن يكون لنا نحن أيضا فلسنا أقل من الناس فى شيء.

ثم تقول لى فى خطاب ترسله مع الدكتور عبد الله عسكر / ما كنت أظن أن تنسوا عاطف/ ياسلام يا أخى عايزنى أكذب عليك وأقول لك بعد ذرف الدمع الهتون لا والله أنت فى القلب؟ وهل تصدقنى ياعاطف؟

يا رجل السنا من هذا الشعب الذى قفز به جمال عبد الناصر فوق الحلم وبكيناه وأقسمنا على دمه بتكملة المسيرة ثم أكلناه وخضنا فى ذمته واستدرنا إلى الاتجاه المعاكس ولعناه كما يفعل سادة هذا الزمان الردىء؟

يا عاطف قفزت فوق أحلامى الصغيرة، وأوجاعى الكبيرة

(١٥)

كان كلما اختفى جاء

وكلما جاء استمر وترك البديل، ثم اختفى.

وجدته ومعه ولد صغير واقفاً أمامى على طريق الإسفلت

ـ صباح الخير

ـ صباح النور

ـ ابن عبد النبى

ـ أهلا وسهلا، الأيام تمر ويكبر الأولاد ونشيب نحن. كنا قد سرنا من أول بيت إبراهيم أبو حسن حتى الفرندا وجلسنا نقرأ الجرائد ونشرب الشاى، قلت له: يوم الجمعة إن شاء الله نسافر إلى الفيوم .

قال: معك إن شاء الله

وفى مساء الخميس كان عبد الستار ورجاله قد أتموا تحميل النحل الذى جهزه سلومة ورجاله قبلها بربع ساعة ولم ينتظر سلومة يوم الجمعة كما كنا متفقين ولكن عبدالستار كان حاضرا.

وكنت الاحظ عدم ارتياح سلومة لوجود عبد الستار وكذلك عدم اهتمام عبدالستار به كانهما قطبان متنافران.

تحركت العربتان وكل مجموعة قد ركبت عربة، وكان عبدالستار ورجاله

فوق عربة أشرف وأنا بجوار أشرف فى الكابينة بينما سلومة بجوار ناصر ورجاله فوق العربة، وكنت أعرف الجهد الذى بذله عبد الستار ورجاله فى تحميل النحل وهم لم يتعاملوا مع النحل من قبل، وعندما وصلنا إلى مكان الإنزال تلكأ سلومة فنزل عبد الستار ورجاله وبدءوا فى إنزال الخلايا وناديت عليه وأفهمته كيفية العمل والرص على البتون بدون كراسى وسط الذرة الرفيعة حتى لاتطولها الماء من تحت، قاموا بعملهم بينما سار سلومة بالعربة الثانية وبعد الانتهاء من إنزال الخلايا قمت بالتفتيح على النحل وافهمتها عبدالستار، وكنت قد طلبت من سلومة أربع كيلات زيتون.

كانت الدنيا واقفة هناك فى البعيد وقد نهضت من نومها بجسدها الباذخ ورائحته المدوخة الأنثوية وقد بدأت فى رفع جلبابها الأسود عاليا ليخرج من تحته نور جسدها الأبيض فتلوث الكون ببهجتها وأنثوتها وتفرغ شهوتها فى الناس والنباتات والحيوانات، وعندما نتأكد من تفاصيل مفاتنها ونرى كل شىء بوضوح تنهض وقدابتل جلبابها بالشهوات فتتمايل قليلا، ثم تفتح عبّها لتشرق منه شمس الله على كون الله لترى بنات الناس وهن ينهضن لاستقبال النهار مقلدات أمهن الحياة، بينما أبناء الناس يعملون فى أرض الله الواسعة ويسعون.

كانت الشمس فى تألقها قد حجبت مفاتن الجسد وأبقت مفاتن المعنى فخرج النحل بشغالاته ليبحث فى أرض الله الواسعة عن الرزق ويسبح الرزاق، كما حاولت الحارسات أن تجمع كل أخبار المكان الجديد لتذهب به إلى الملكة فى خدرها المصون وقد اجتمع فيه مجلس الحرب للتشاور حول الوضع الجديد.

استمر تدفق النحل من الخلايا وسرحانه حتى ارتفع قرص الشمس

بمعنى لقد باركت الملكات المكان الجديد.

ـــ تفضلوا ياَرجاله الفطار جاهز

وقف عبدالستار قائلا: شكرا

التف رجال عبدالستار حوله، فنظرت إليه

... أبداً والله أنا رايح لجماعة هنا فى الفيوم

لم أتكلم وركبت العربة فركب الجميع.

بعد الإفطار فى بيت سلومة وأدوار الشاى المتعاقبة مال علىّ عبدالستار

ـــ بعد إذنك نروح مع أشرف

ـــ معك ناصر ومع السلامة

●●●

ـ ما تأخرت اليوم إلا لأننى أريدك، أولاً أنا لم أفهم أى شىء من هذه الأوراق ثم ...

أشار بيده معترضا، ثم قال: هل قرأتها كلها حتى آخرها؟

ـ لا

ـ لا داعى للحكم على ما لا تعرف، الذى بين يديك حياة بشر وليس مشروب للعائلة أو بيتزا

ـ سلومة!!!؟

ـ أنا أتكلم بشكل حقيقى وليس فى نيتى التجاوز إطلاقا وأنت تعرف.

ـ اسمع منى إن هناك مخطط كبير لتدمير هذا الشعب عن طريق شهواته فمثلا: البيتزا والهامبورجر والبطاطس والمعجنات والمكرونة وكل صنف شىء بالباشاميل عبارة عن عجائن من الدقيق والنشويات فى أشد حالاتها تركيزا ومعها قبل أن تتكلم المشروبات العائلية الكبيرة وهذه مشكلة المشاكل، ثم الدجاج بكل أصنافة الكنتاكى و المغذى على هرمونات

حبوب منع الحمل وما إلى ذلك الله أعلم بهذه الكميات الكبيرة فى الوجبة الواحدة لشباب وشابات وكهول تعودت بطونهم على الفول والطعمية والخضروات، كل هذه الكميات الغير عادية من النشويات والسكريات والدهون والهرمونات ينتج عنها فوراً :ـ

الفشل الكلوى

العجز الجنسى المبكر لدى المراهقين

السكر وضغط الدم

السرطان

أمراض الكلسترول وترسيب كميات على جدران الأوعية الدموية وهذا كفيل وحده بقائمة أمراض أطول من هذه النخلة التى أمامك

تسهيل المخدرات وخلق البديل المدمر والرخيص مثل البانجو وحبوب الجنس، كل هذا يخلق جيلا مهزوما لا يستطيع أن ينهض من مكانه فتسهل السيطرة عليه من حكامه، ولأنهم قد سيطروا بالطريقة اليهودية القديمة على هؤلاء الحكام فبالتالى أحكموا قبضتهم على تلك الديار.

أما كيفية السيطرة على الحكام فكالتالى:

نجّمل له الدنيا ونمده بأسباب السيطرة والمنعة، نقدم له كل يوم واحدا من الضحايا الذين لم يستمعوا لنصحنا ونبين له كيف يمكن لنا إعادة الحكام الذين لا ترضى عنهم شعوبهم رغم أنف أبو شعوبهم مثلما حدث فى إيران وتم إعادة الشاه إلى حكمه، وعندما ينوى إصلاحاً ما دون أن يخبرنا نتركه لشعبه مثلما حدث أيضا لشاه إيران، بعد ذلك كل يوم تقول أمريكا والصهيونية العالمية هذا الكلام بالفم المليان والحكام والثوريون آخر طناش، المهم تبدأ الحاشية تزين له القوة والنساء وفى فترات زيارته إلى أمريكا تمر من أمامه نوعيات معينة لفتيات ما وعندما يتحرك لنوعية

ما مفضلا لها على كل ما عاداها، هنا يقدمون له شيئا آخر حتى إذا يئس أو عاند لوحوا له بالمثال الأقوى من النوعية التى يريدها، والبعض يتزوجها فتتولى هى الحكم فيا ضنايا سعادة البيه الحاكم غرقان لشوشته فى الهنا، عالم ثالث محروم، وطبعا الحكمة الإلهية أن يعشق العالم الثالث النساء البيضاء وسبحان الله المرأة الحمراء يكون كل جسمها أبيض ولكن البيضاء أو القريبة من البياض ما إن تكشف جسدها إلا وتجده بقدرة قادر قد تحول إلى اللون الكمونى أو الأزرق أو البنى الغامق، وتتأمل خلقة الرحمان كيف تؤثر الشمس تحت الهدوم إلى هذه الدرجة أم أن هذه وساخة جوف وتبهت على الجسد؟؟!!

وقد تقع فى يوم من الأيام فى امرأة حمراء الوجه فلا تتردد واقتنيها إنها معك فى حجرة النوم صهد فرن يوم الخبيز يهب عليك من فتحة الفرن، وإذا كشفتها لتتأمل مفاتنها فإنك واقع فيها فى ضنى الحال ولست مفارقها حتى لو كانت الحرب على الأبواب، واعرف لماذا ترك صاحبنا الحرب والمعركة وجرى وراء كليوباترا تلك المرأة الحمراء بلا رحمة، إنها مجمرة المتعة ولذة المكافأة، فهى لا تصلح لنا لأننا فى حالة المفارقة أبدا فالحمد لله على ما رزقنا والحمد لله كثيرا لو أنعم علينا.

ـ ولم أفهم شيئا مما قلت وهل أنا تأخرت يوما لأستمع إلى نظرياتك يا سلومة؟

ـ عندما تستكمل قراءة الأوراق تستطيع أن تناقشنى وأن يكون للنقاش فائدة وكل ما ينقصك الآن هذا... وهو كيس السر وكذلك مذكراتى وإن كانت غير كاملة ولكنى استأمنتك عليها فهى معك، ومد يده وقمنا معا.

ـ ومحبوبة؟

ـ كل هذا سيتكامل بعد قراءة الأوراق

- وما سر عدم تلاؤمك مع عبدالستار، لا تضيق على أحد رزقه
- أنا؟ فقط أحسست أنه يسرقنى بناسه
- بمعنى
- قد يكون له مشروع متشابه ولكن دون قاعدة نظرية أو رؤية فكرية وخفت على سلالاتى من التلوث فيكفى فرد واحد لإنهاء عمل عشرات السنين، إلى جانب لم يذكر التاريخ انه وجد مشروعين نهضاويين فى وقت واحد حتى على مستوى ازدهار الحضارة فهى مقسمة بين العراق ومصر فإما نهوض وقيادة فى العراق وركود بمصر أو العكس بالعكس يكون
- ربما ليس مشروعا مماثلا
- وهذا أخطر، صدقنى انا اشم رائحة الأشياء المشابهة
توقف سلومة عن المسير ثم استدار فاستدرت وعندما لم أجد شىء اعتدلت فلمحت طرف جلبابه يرف خارجا من حقل الذرة إلى الإسفلت وعندما ناديته كان قد ركب عربة نصف نقل وسارت العربة.
انتظرت سلومة تحت مظلة استراحة ٩ حتى مضى منتصف النهار وحوالى الواحدة والربع توقف أشرف أمامى بالعربة وكان معه سلومة
- أين وجدت سلومة؟؟
- قابلنى عند كوبرى البسطى
نزل سلومة من العربة قائلا:
الزيتون بالجوال الذى فى صندوق العربة، وهذا الجوال به طلباتك
أخذت سلومة على ناحية وسألته: طلبات؟
قال هامسا: الكيس والمذكرات.
سار سلومة ودخل حقل الذرة الرفيعة، وسارت العربة وأشرف يغنى

بصوت أجش، فجأة قطع الغناء وسأل الجوال ده فيه إيه؟

- ليه؟

- يعنى

- مفيش

- ياسلام، يعنى السؤال حرم

- - خلاص، خلاص يا أشرف

- خلاص ياعم



(١٦)

بعد شهر من عودتى من الفيوم المدينة بنية عدم مقابلة سلومةحيث كنت ذاهبا إلى دمو مع المهندس محمد فاروق قائد قوات استصلاح الأراضى المصرية بدءاً من صان الحجر والتحرير وكنج مريوط والنوبارية والحامول وهو الوحيد فى هذا العالم العادل الذى لم يتزوج ولم يحصل على أرض وكنت قدقلت له: لماذا لم تتزوج؟

فقال: ربما لم يكن عندى الوقت الكافى للتفكير فى هذا الموضوع، أو أننى نسيت لأقلمة ظروفى بالعمل مغتربا طوال الوقت، وكذلك لم أحصل على أرض لأننى اعتبرت ان كل أرض شاركت فى استصلاحها فهى ملكى.

- ولماذا فصلت من العمل؟

- لأننى اعترضت على بيع أرض وادى الملاك لغير المصريين والعرب، ولن أعود إلى العمل فى الحكومة وصحيح أن عمرى خمسة وخمسون عاما ولكن أستطيع أن أكسب قوتى من إدارة المزارع لخلق الله ولن أهين نفسى فى بلد وهبته حياتى فأصدر قرارا بإعدامى.

كنت ذاهبا معه لشراء أرض من أراضى استصلاح دمو وهى أرض مالحة والأرض القابلة للزراعة بها قليلة فلابد من الاستعانة بخبير.

فحصنا عشرات القطع من الأراضى المستصلحة ولكن كان كل شىء

ضدى ولم استطع اخذ قرار بالشراء ولم تكن نفسى مرتاحة للشراء فعدت إلى محمد فاروق

ـ هيا بنا

ـ الأرض؟

ـ الأرض قالت آه الفأس بتجرحنى

رديت وأنا محنى آه منك انتى آه.

رحم الله صلاح جاهين

لن أشترى يا حبيبى

ـ صبرا قليلا حتى نشرب

حضرت طفلة صغيرة ومعها دورق ماء نظيف وشربنا

ـ شكرا يا حلوة

ـ أمى بتقول تفضلوا اشربوا الشاى

ـ شكرا

جاءنا صوت من داخل الدار التى أمامنا

ـ تفضل ياباشمهندس الريس عبدالستار موجود هنا، وسمعنا صوت لم نتبينه ودخلنا فوجدنا عبد الستار قاعد ورجليه مجبستان

خير يا عبدالستار.

ـ الحمد لله اشترينا لعبدالنبى وزوجته وأولاده فدانين أرض هنا، واشترينا لصلاح فى مرسى مطروح، وأنا أمر عليهم كل فترة وكان المفروض فرح بنتى أنصار يوم الخميس لكن كسر رجلى أجله، وزوجها أبو الرجال من وادى الملاك بقرية ٦ أظنك فاكره وهو أصلا من عندنا من نشوة

ـ هل يبيعون أرض للمبانى بقرية ٦؟؟

ـ لا لما الشركة المصرية الزراعية بوادى الملاك تم حلها تم بيع الأرضى لمن يريد عمل مشروع مع بيع فيلات وحدات سكنية دور يعنى واحنا اشترينا من بعض الذين اشتروا فدانين والبيت.

ـ ما الداعى لكل هذه الشحططة يا عبدالستار؟

ـ نحن نشتغل فى كل مكان على باب الله يعنى فيكون لنا دارا فى كل مكان.

ـ لو كانت كل الأرض والدور فى مكان واحد لصارت مشكلة.

ـ اشرب الشاى، يعنى لو الواحد ذاهب إلى السوق يكون غلطان لو وضع الفلوس كلها فى جيب واحد لابد من توزيع الفلوس حتى لو سرق جيب يبقى الباقى

عدنا إلى مدينة الفيوم بعدما غادرنا عبدالستار ولم أكن بقادر على مغادرة الفيوم مباشرة فحجزت حجرة فى فندق سيسل أمام سواقى الفيوم الشهيرة أخذت حماماً ونمت.

فى الصباح قاومت أن أمر على سلومة وسافرت إلى البلدة مباشرة.

(١٧)

ما الذى يمكن أن يحدث يا ناس وروح مخطوفة وملتاعة وخائفة خوفا مرتفعا كإننى كالعشبة قدام المنجل، او كاننى أتوقع تنفيذ حكم الإعدام وأنا البرىء، أخاف من صوت الهاتف أو جرس الباب كأنما كارثة سوف تقع على أم رأسك أنت وأهلك، ليس عندى ما يخيفنى لأننى تعلمت من الحياة أن أكون رجلاً بلا أسرار فما الذى يتهددنى ؟؟؟

دق جرس التليفون

ـ يا ساتر يا رب.... نعم

ـ ألو... ازيك معلش اسمعنا، أبونا مات من سبعة وعشرين عاماً والبيت مقفول وأصبح مزبلة وأنتم لا تبنون البيت ولا تتركون غيرك يستفيد وهذا حق شرعى أحل من اللبن الحليب، ونحن لا نأخذ من مال أحد، لو البيت مباع كانت كل واحدة انتفعت بما لها، مثلا حجت بيت الله، زوجت الأولاد، صبت عمدان الدور الثالث، ذهبت للطبيب...

ـ قلت لكم يباع البيت بعد الوفاة مباشرة ولكنكم أعلنتم أن هذا محال وأننى سأدفن أبى حيا مرتين، واحدة موته مقهورا من اهتمامى بالسياسة ومرة لأننى سأبيع البيت، وحفاظا على أبى ويكفى موته مرة واحد وليبق لنا ولا داعٍ لتكرار هذا الموت خاصة وهى تجربة صعبة كما تعرفون حافظت على أبيكم ولم أتكلم وأرسلتم أخيكم لى وأخذ المفتاح

والأوراق من عشرين عاماً ليصنع له مفتاح لأن مفتاحه ضاع، وطبعاً ه معذور لأنه صدر قرار جمهوري بمنع عمل المفاتيح، فقلت في نفسم مفتاحي الصبر، وتمت مقاطعتي ثم عدتم فرادى كل واحد منكم يري نصيبه فكيف أعطيكم نصيبكم في بيت أنا مطرود منه؟

ثم أنني قلت لكم افعلوا ما تشاءون، وعندما تبيعون البيت تبرعو بنصيبي على روح والدي، أو تبرعوا بالبيت مدرسة للبلدة .

ـ نحن لسنا أغنى من الحكومة.

ـ نتعاون ونبني البيت ويكون للجميع.

ـ هذا دور الأولاد الرجال، الأخ وليست الأخت، وهل تنتظر من أزواجنا أن يبنون لكم بيت أبيكم أقصد أن يشاركوكم لماذا كل واحد يبني بيت أبيه؟

ـ سيكون مقرا للجميع وهذا الزوج، أنت وهو وأولادكم ستنزلون في هذا البيت كأنه يبني نصيبك.

ـ مبروك عليكم وعايزين نصيبنا ولما أي واحدة تدخل عليكم البيت أنتم أحرار في مقابلتها من عدمه

ـ والمطلوب مني؟

ـ بيع البيت بأعلى سعر ونأخذ نصيبنا

ـ ولماذا لم تقولي هذا لاخوتك الذين عارضوا يوم اقترحت عليكم بيع البيت؟

ـ أنت الكبير

ـ بلا مفتاح أو أوراق عشرون عاماً؟

ـ معلش دول عيال

ـ على كل حال بيتي مفتوح لكم كما هو مفتوح طوال عمره ولم يكن لكم

مقر إلا هو حتى فى وجود بيت أبيكم ولكن حكاية البيع لابد من وجود الأوراق

- سنرسل لك الأوراق وتصرف وسلم على العيال.... اسمع

- نعم

- بسرعة والنبى

- حاضر

- على فكرة صحيح عندك سكر أنا قلت مش معقول إنك تمرض يمكن كلام أو تمثلية

- والله كلامك معقول، لكن ليه؟ هل اعتدتم زيارتى فى مصائبى؟ أنا لا أراكم إلا فى مصائبكم وفسحكم، على كل حال متشكرين

- أوعى تكون زعلت باضحك معك خليك مرح ومستحمل الكل زى زمان

- حاضر مع السلامة

هل يكن أن يتحمل مخلوق نتيجة هذا الخنق الشديد، لماذا أتحمل أنا نتيجة شىء لم أفعله؟!

اللهم إنى أتوجه إليك فى ضيقى هذا فاجعل لى مخرجا ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين.

لو أن فى اليد متسع لاشتريته وتبرعت به كمدرسة تحمل اسم أبى ولكن ما باليد حيلة.

إن هذا الهبوط الحاد فى الدورة الدموية الذى يصيبك كلما مررت بالبيت وطفت حوله وأنت مطرود منه ومسحوب مفتاحه وحجته أوراق منك، وتم تفتيش دارك التى أوتهم بحثا عن طفايات سجاير أو أى شىء من البيت بينما لم ينظر أحد حوله ليشاهد الأسرة والبطاطين والحلل والأطباق

الصـينى والأباجـورات والعـدد الحـديد وكل شىء كل شىء فى بيـوتهم، وفى كل مرة لدى طوافك حوله ليلا حتى لا يراك الناس فيشمتون بك وأنت تشاهد شجرة التمر هندى وأشجار الكازوارينا تحنو على البيت وتظلله تعوضه عن حنان مفتقد من أصحابه الذين أكلتهم الدنيا وصاروا فى معدتها، لماذا كل هذا؟

وإلى أين المسير والأعمار قد جاوزت الأربعين ؟؟؟

إنك عندما تتأمل كل ذلك وترى باب البيت المقفل الذى لم يقفل أبدا فى وجه أحد وكان قبلة الغريب والقريب عندما ترى كل ذلك وتتذكر ما كان لا تملك إلا البكاء، وقد بكيت خمسة وعشرين عاماً حتى جفّ الدمع، وها أنا أموت صبرا فى شوارع السكاكرة وبيت أبى مقفل دونى فصبر جميل والله المستعان فلم يعد فى العمر قدر ما مضى، ويكفى أنك أنت وزوجتك فتحتم قلوبكم وحرمتم أنفسكم وأولادكم لهم لهم لهم، لقد نسوا ولا تقل لى هل ينسى الإنسان؟

إذا كان الإنسان ينسى الله، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، والله أنا حاولت أن أفتح مع الأولاد الموضوع أكثر من مرة ولكن للأسف تغرق فى ماء فاتر كالبول لا تنال إلا المراوغة والتهرب أو عدم الرد.

طبعا كدت لا أنزل السكاكرة وقلت (والله إن أهلك لم يخرجونى منك ولكنى خرجت).

كلما تأملت هذه الجموع الكثيرة التى زارتنى فى مرضى من السكاكرة (الجموع من السكاكرة والمرض من السكاكرة) ولم يكن معهم أخ أو أخت أو قريب ليدلهم على الطريق قلت سبحان الله فى طبع الإنسان اللئيم، وكلما تأملت هذه القلة القليلة التى جاءتنى بقيادة العم حفنى وتوفيق النساج وعثمان النجار تسبقهم درابك عائشة الخياطة يهلون علىّ من

سقف الدار ومن شقوق الحوائط يحملون بين أيديهم قلب السكاكرة النابض وهو ينبض حبا طازجاً وينز الدم منه على أيديهم فتشربه جلابيبهم والأنغام الشجية مجدولة بصوت عائشة الخياطة، السكاكرة مجلوة فى ليلة عرسها تتمايل تمايل النخيل المحب العاشق المتكبر يقتلها الخجل من لقاء المحبوب والخوف عليه، دخلوا قلبى فسكنت جوانحى وقلت: يكفى هذا وزيادة والله إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى



(١٨)

عظيم جدا يا عاطف أن تدخل رحاب كلية الطب فى اليمن السعيد وكأنه ثمن غربتك عنا وأملا فى مستقبل سعيد فألف مبروك، لكن معلش من لكن، ستكون ابنتك طبيبة إن شاء الله ولكن لن تجد مستشفيات حكومية تقدم العلاج للناس بالمجان، ستجد مستشفيات تتاجر فى الأعضاء البشرية وستجد العلاج حكرا على من يملكون الثمن، وهى لن تستطيع فعل أى شىء وإلا ستطرد من العمل وستموت من الجوع، وإذا عملت فعليها صرف العلاج الذى يوافق عليه الكبار من الأطباء المتعاملين مع شركات الدواء بصرف النظر عن فائدة الدواء من عدمه، وهل يخدم ويفيد فى علاج المرض أم، لا، وهل له مضاعفات وما هى؟

عندما سألت طبيبا كبيرا قال لى: الموت والشفاء من عند الله ونحن وسائل ونحاول ثم نحن الذين نكتب الدواء ولا أحد يضربنا على أيدينا قلت: ربما يضرب فى أرزاقكم

لم يرد وكأنه لم يسمع السؤال.

تعرف يا عاطف أنا لم أدرك إلا الآن معنى أن ترفض زوجتى التدريس بالجامعة والتعيين بها كعضو هيئة تدريس وتستمر موجهة بالمدرسة فى التعليم العا م لغة عربية بالذات، والآن فقط أعرف أنها محقة فى عدم التنازل فى تحويل المدرسين إلى التحقيق إثر غاراتها المستمرة على

المــدارس وهى الغـارات التى لا تكل ولا تمل من القـيام بهـا حـتى كـونت فريقا يستحق أن تنسف به سيارة المتابعة أو يستحق المكافأة.

أريد يا عـاطف أن أفتح كـتابا فى السـكاكرة وألم العـيال وأعلمـهم، هل قـرات (مـالك بن نبى) أسف وضـعت الاسـم بين أقـواس لأنه غـريب عن البشر الذين يتشدقون طوال النهار برولان بارت وكلما سـألتهم يا ناس أنا لم افهم صاحبكم هذا ماالذى خرجتم به منه؟

يقولون لك هل أنت تمتحننا؟

وأفضلهم يقول لك: حاول مرة أخرى.

وإذا كنت عـثرت على (مـالك) فـلا تنس أن تقرأ تجـربة عبـدالحـميـد بن باديس



(١٩)

العودة مرة أخرى إلى أوراق سلومة

(الورقة السادسة)

- مجموعة من عقود شراء وتمليك قطع أرض حدائق وأراضى زراعية من الإصلاح الزراعى فى كل من أنشاص وشبرا وأسيوط.
- مجموعة عقود شراء وتمليك أرض مستصلحة فى كل من الصالحية الجديدة ومرسى مطروح والفرافرة والوسطى والإسماعيلية وبئر العبد.
- تكاليف بناء بيوت ومجموعة أوراق تخصيص لبيوت وأراضى بأسماء محددة
- ورقة ملفوفة بشكل أسطوانى تحتوى فى داخلها عدة أوراق رقيقة مكتوبة بالحبر المصنوع من تقاوى السنط والصمغ ويسمى حبر القرض، ومكتوبة بالخط الثلث.

عنوان الورقة الرئيسية (دور رئيسى للغير عاديين)

إن منح الله وهباته كثيرة كالمعانى نتعثر فيها فى الطرقات ولكن الفرق بين عقل وآخر فى الاستفادة مما هو مطروح وقد يكون جوهريا. مثلا يستخدم كل من:

- العرج والمشلولين (المقعد والذى يمكنه الحركة) فى التبليغ والمراقبة والملاحظة كما يمكن استخدامهم فى التسمع والتصنت أو التوزيع وإبلاغ الأوامر.

- البلهاء والغير قادرين على التمييز/ يكونون حجة/ للقيام بعمل ما.
- العور وقليلى النظر لسحب العميان توزيعاً وجمعاً.
- العميان للتصنت وإبلاغ الأوامر والنقل
- ناقصى التكوين للتفتيش.
- من يملكون إبداعات غير طبيعية سخت بها الطبيعة عليهم أثناء الخليقة تستغل كل هذه الإبداعات فى أماكنها، وكذلك فى حالات استجواب الناس والغير طبيعيين من الرجال.
- الحمقى للتعذيب.
- الصم سجانون بالمرافقة

// انتهت هذه الورقة//

الورقة السابعة

رسم كروكى مدون بجواره مقياس رسم عشرة ميادين وطرق فرعية لطريقة الدخول والخروج منها بشكل سريع بالقاهرة

خمسة عشر ورقة بكل منها رسما كروكيا لأماكن هامة ومرافق ونقط التقاء وعزل مؤشر عليها للقاهرة وخمس محافظات كبرى.

// انتهت الأوراق وما بقى فهو مذكرات سلومة وكنز الإلهام //

(٢٠)

الكنز/ على عظام الحيوانات/ ٥٦ عظمة (مدون سبع افتتاحيات تحت اسم السر والإلهام)

● أنت داخل خارج نفسك فاعزل بينهما بقوة ما تريد .

● لولا الغث ما كان الثمين.

● نحن خلقنا أصدافا عديمة القيمة فى خارجها وتحتوى على القيمة فى حشاها.

● لا نريد لأحد أن يفتح كنزنا.

● علينا أن نخرج من أصدافنا بعيدا عن حدقات العيون.

● لا نريد إلا نخيلا وأشجارا باسقات لها طلع نضيد.

* * *

● كل جماع بفرد أو فردين.

● ليس الجماع للمتعة.

● المتعة تأمل الجسد وتحسسه مغمض العينين بلا جماع فكلما قل الجماع حلى كالعيد.

● قوتك قوتك نحتاجك.

● اعتمد على سرعة الإنجاز بحركة الخمول.

* * *

● ادفن عاطفتك واخرج من مشاعرك مع ولادة أولادك.

● تعدد النساء يجعلك لا تقع تحت تأثير أى منهن وإذا وقعت فتزوج غيرها وبسرعة.

* * *

● كن مقيما عند أقلهن سيطرة عليك.

● تملك أكبر قدر من الأرض ولكن لا تحوز الأجود.

* * *

● تملك من أراضى البرك والمستنقعات والمهجورة والمالحة كلما أمكن.

● انجب كلما أمكن زاحم الميراث بالورثة.

● ليكن النخيل والكازوارينا على حدود أرضك وفيها الليمون والنحل.

* * *

ملحوظة: الحفر على عظام اللوح لا يزيد عمقه عن مليمترات ولكن واضح جدا ومحشو بالأسود ويبدوا أنه بعد الحفر تم غمس اللوح كله فى مادة سوداء لإظهار الكتابة ثم مسح اللوح فبقى الحبر فى فراغات الحضر.

* * *

قد تقابل من يخاف من مشروعك ويبدى اعتراضا عليه ليس اعتراضاً جوهرياً. فضم المعترض إليك وقلده منصب الأمير إذا كان مفيداء، وهو دافع لك وكن فى حضرته خاملا، لا تتكلم إلا لتعديل مسار الحوار وكن مدهشا وانقله من موقع إلى موقع بسرعة، وحاصره بالواجبات والكشف قليلا عن بعض التكوين الأولى ولا تكشف له عن الآن أو القادم وألبسه حُلَّةَ وَهمْ حكم انه القادم

لا تكشف لامرأة سرك ولا تأمنها، ولكن عاملها بالحسنى، وأدخل فى كل منافذها أنها هى الأصل والمؤتمنة على السر، ولا تقل شيئا عن مشروعاتك ولكن كَلِّمْهَا عن المال والزواج والمدخر والمنصرف وليكن هذا

كله وهما ولكن لا تنس، ولا تجب عن أسئلتها خوف الكمائن والنسيان

● لا ترد على انفعال النساء وشتائمهم ولكن قَبِّلْها كلما زادت صخباً وداعب مراكزها على أمل الليل ولكن لا تفعل ودعها تنتظر طويلا

● لا تتأمل النساء كثيرا ولكن من أردت التأثير عليها فانظر إلى الجهة اليسرى من وجهها أعلى الحاجب تماما واغرز عينك فيها متنقلا بين جبهتها وعينها وبيت ولادتها واهمس لها بما تريد فستعرف ولو كنت بعيدا عنها بعشرة أزرع.

عشر عظام تتحدث عن مواصفات جسد المرأة المناسبة لبدء السلالة، وكيف أن كل جزء تحت الملابس له عنوان فيما ظهر من الجسد، فالفم بارز العظام دليل على بروز عظام الفرج، واتساع الفم اتساع للفرج، واتصال الساق بالقدم كلما دقت ضاق الرحم وكلما وسعت وسع، وفى قانون الارتفاع والانخفاض كقانون نيوتن يقول: مؤخرة ساقطة بيت ولادة مرتفع وبارزا إلى الأمام، وكل مؤخرة عالية بيت ولادة منكفىء بين الساقين

خمسة وعشرون عظمة تتحدث عن تربية البنيين

عشر عظام تتحدث عن تربية البنات

عشر عظام تتحدث عن فترة النضوج (المراهقة للبنات) وطرق الانتخاب،

مجموعات صغيرة تتحدث عن معاملة الأغراب وإكرامهم وعدم التحدث أمامهم فى أى موضوع يخص، وعدم الكلام مع أولادك أو غيرهم أو فتح موضوعات عن ما يمت إلينا بصلة أنت غريب حتى بين أولادك ولكنك قوى بالسر فاعمل له، لا حياة لك إلا به

بعض العظام عليها أسماء والعظمة الأخيرة تقول: ولكن عند محبوبة كل مانريد فتلقى منا مباشرة.

// وجدت هذه الورقة فى غير ترتيبها //

(الورقة الأخيرة)

. لفة تحتوى على عقد زواج من أميرة كويتية وأخرى من الإمارات وموثق كل عقد بالسفارات الخاصة بذلك

.. عقد زواج من بحرانية وآخر من فارسية من منطقة حوض السلطان وغير موثق.

... مجموعة خطابات من وإلى سلومة غير مفتوحة وعليها تواريخ لأعوام قادمة.

[[مذكرات سلومة]]

هذه ليست مذكرات وليس هذا الكلام من قبيل التواضع، ولكنها للحقيقة مجموعة أوراق تشكل فى رأى بعض القراءات التى رأيت أنها من الأهمية بحيث لا يكفى حفظها فى الذاكرة وربما لا يسعفنى الوقت لأقصها بطريقتى الخاصة لمن يريدون.

ليست هذه الجملة السابقة مبنية للمجهول ولكن للمعلوم لدينا والذى من شروط التأدب الإشارة إليه تكفى.

والبعض الآخر من الأوراق مدونات لمقابلات مع البعض ربما تركتها متعمدا حتى يتم اختصارها ويتم التلقى من المصدر مباشرة دون أن تتعرض الرسالة إلى التحريف سواء كان متعمداً أوغير متعمد، لست أدرى على وجه الدقة كيف يتم انتقال هذه الأوراق ولمن فلم يحدث فى تاريخنا الطويل أن تم انتقال الأوراق مرتين بشكل واحد، ولا لشخص يتم فرزه من قبل البعض وتضيع مراهنات العقل فى كل مرة ولكن عندما يتم الاختيار فنفاجأ بأنه هو وهو – أصلح من تم اختياره.

(ورقة أخرى)

إن الانتخاب الطبيعى لانتقاء السلالات سواء كان ذلك فى النحل أو فى

الدواجن والرومى بشكل خاص لهو ضرب من الصدفة والطفرات التى لا تخضع لقانون ما إلا قانون الصدفة، ولكن علينا الإمساك بطرف الخيط من أخره فإن الطبيعة تقدم لنا فى كل لحظة منح إذا ضاعت فيصعب تكرارها مرة أخرى،

فمثلا يمكن ملاحظة المنحل ووجود بعض الخلايا غزيرة المحصول فى جمع العسل فيتم وضع علامات على هذه الخلايا وكذلك الخلايا، التى تستطيع أن تغطى بالحضنة البرواز من أوله إلى أخره فى وقت قياسى،

وكذلك الخلايا التى تستطيع خلال شهور الشتاء أن تملأ أقراصها بالعسل و الحضنة فإننا نستطيع أن ننتقى منها أجودها ونربى منها ملكات لباقى المنحل حسب الغرض المراد تحقيقه كذلك نستطيع جمع كل هذه الصفات إذا توفرت لنا أماكن منعزلة بحيث يتم السيطرة على عملية التلقيح ومن هنا يمكن إنتاج سلالة لها المواصفات المطلوبة، وكذلك فى سائر المخلوقات.؟!!

ملحوظة مدونة بالقلم الرصاص (من هنا) ويبدو أنها بخط سلومة.

كراسة منزوعة الغلاف تحتوى ستة وأربعين ورقة مكتوبة بالقلم الحبر السائل.

لماذا ترتبط الحضارة بالزمن، هل لأنه يدفعها إلى التطور؟

فتقسمه إلى أعوام وشهور وأسابيع وأيام وساعات ودقائق حسب أهمية ما ينجز فيه، وكلما قلت حركة الزمن كان ذلك راجعا إلى تعثر حركة الدفع إلى الأمام.

****

وإذا كان عالم اليوم تتحكم فيه الدول الكبرى وتفعل به ماتشاء فقد كانت هذه الشعوب المرغمة ملكة فى قبيلتها الأولى لكن خلو حياتها من برنامج انتخاب الأقوى للبقاء والدخول إلى التركيز وعدم الاغتراب فى السلالة

بقصد النقاء بعد التهجين والوصول الى أقوى الصفات وعدم الإتجاه إلى الداخل فى الزواج جعلها تقع فى منطقة الانعزال التى تصل بهم إلى منطقة الأضعف،

كذلك فإن القوة الاقتصادية كانت هى المحرك الأساسى فى مسار التاريخ حيث ارتبطت بالسيطرة الثقافية للتكنولوجيا.

ونرى انه رغم التقدم التقنى فإن هذا التقدم قد ترك مساحة هائلة للعمل اليدوى البسيط الذى يرتفع أجره مهنيا عن أجر الآلة وهو العمل المترفع عنه أعيان الناس.

(قالت لى مَحبوبة: كل ماهو أعلى الإنسان يخضع لتخيله هو وحده المسئول عنه ويمكن له بسهولة أن يهجره بلا مسببات مثل اعتناق الفكر والديانة والأحلام والمواصفات، لكن الذى لا يمكنه الاستغناء عنه ويحرك التاريخ معه ولايمكنه تأجيله ويمكنه أن يتخلى عن كل نصفه الأعلى له هو نصفه الأسفل، الجوع والتبرز وحصر البول والشهوة، وانظر ما فعلت كليوباترا وكيف أثر ذلك على المعركة بالكامل فى أكتيوم وقد فر القائد المنتصر خلفها مفضلا اللذة على النصر).

إن عمليات احتكار زراعة الذرة الرفيعة والعويجة لن تؤدى إلى نوع ما من السيطرة الاقتصادية أو الثروة التى تقود إلى الثورة وذلك لأن مناطق الاستهلاك أقل من مناطق الإنتاج، ولكن يختلف الأمر بالنسبة إلى عسل النحل والفول السودانى واللب،

وتخيل معدلات استهلاك البشر فى هذه الأشياء التى تراها قليلة الأهمية،

فمثلا أن دخل شركات الملابس الداخلية الحريمى والتى لاتلبس فى العمر بأجمعه أكثر من ثلاث ساعات على مدى ستون عاما تمثل دخلا

رهيبا وتعتبر من ضروريات النساء، ويأخذ من الوقت للكلام حولها وشراءها وتداولها أكثر مما يأخذ الطعام!!

ولذلك فإن الشهرة المدوية لعسل نحل الفيوم لارتفاع قيمته الغذائية ونسبة المواد الصلبة به وحبوب اللقاح ووفرة إنتاج العسل إلى جانب غناه بغذاء ملكات النحل يجعل عدد القادمين إلى الفيوم يتزايد،

وخاصة وأن الموسم طويل من مايو حتى أكتوبر معتمدا على عروات عباد الشمس والذرة السكرية والذرة الرفيعة وسلالة من القطن خاصة بالفيوم،

ومع ذلك فلا تهدر المال فى إنشاء المناحل ويكفى العمل عليها وفرزها بربع الإنتاج فمثلا لك طن عسل كل أربعة أطنان من العسل بدون رأس مال أو تكلفة، ومتجنبا كوارث النقل والدبور والفار.

● إن الرعى له مميزات من أهمها وسائل السيطرة والتعليم:-

١ - يتعلم الراعى كيف يسوس القطيع ويوجهه ويعلم رغباته دون الإفصاح عنها.

٢ - يمكن مناقشة كافة القرارات فى هدوء وإعادة ترتيب الأفكار حتى تتبلور وتكون صالحة للظهور.

٣ - يمكن عمل مسح شامل لأى مكان ومعرفة كل المعلومات عنه دون لفت النظر.

٤ - هى مهنة لاتحتاج إلى تدريب أو مهارة ويمكن عن طريقها توصيل واستقبال الرسائل والانتقال من محافظة إلى الأخرى دون لفت النظر.

٥ - تنمية الثروة بوحدات قليلة التكلفة كثيرة التوالد سهلة التصريف والبيع وعليها إقبال فى الزواج والمأتم والنجاح والعيد الكبير وهكذا.

٦ - الانتباه لقدرات الهندسة الوراثية وتخصيص مجموعات من

الدارسين فى مجال أحماض (d,n,a,) حيث يسهل إنتاج سلالة خالية من الأمراض بالتحكم بعدد تكرارات الأحماض الأمينية الأربعة المسئولة فى جميع المخلوقات الحية عن مواصفات الكائن الحى، وبذلك تصبح الأمراض من ذكريات البشرية وتنظر إليها البشرية على إنها ماض له علاقة قوية بالجهل.



(٢١)

وهذا ليس آخر خطاب إليك وإن كنت لا أجيد كتابة الخطابات ورديت عليك وعلى أمل استكمال مابدأته معك من كلام فى هذا الخطاب.

غارق يا أستاذ فى حالة من الرومانسية الجميلة التى تركبك فترسل لنا بخطابات تفرش الكون ببهجة إنسانية تعيد انتماءنا إلى الإنسانية التى نسينها وإلا سنؤكل (هم ياجمل) وسط الديابة، فنحن قد تحولنا إلى حيوانات بمعاشرة هؤلاء الحواة المنتشرين فى كل مكان.

لماذا تعذبنا يا عاطف بهذه الخطابات الجميلة التى كنا ننتمى إليها، وتستيقظ ضمائرنا ونحن نريدها أن تنام حتى لانجن، ونريد أن ننسى ونهرب من ذاكرتنا فتعيدنا خطاباتك إلى الوجه الإنسانى العميق فتأكلنا الأوجاع فلا ننام ونبصر جراحاتنا وقد تقيحت فنحاول أن نتلمسها فندميها ونصرخ: حرام عليك يا عاطف.

(٢٢)

قلت: لم آخذ من البيت أى شيء فلآخذ منه ما لم يمنحه لأحد غيرى قبل أن يباع.

وكنت أعلم أن البيت لن يغادرنى مطلقا.

ذهبت مع غروب الشمس داخلا مع السكون الذى يعقب مغيب الشمس مدمى القلب وأحس أن أقدامى لا تحملنى وأننى لا أستطيع أن أمشى أو أرى، مررت على الجبانة ووقفت محانياً لقبر أبى وقبر أمى وقرأت الفاتحة لهم ولكافة المسلمين وخاصتهم من الأهل والأصدقاء.

لمحت الحديقة والبيت من أول الحارة وكنت أنا والبيت كل منا يدارى وجهه من الآخر خجلاً، من باب الحديقة دخلت ومن دون أن يرانى أحد دخلت وكنت ارتعش وأنا أرتكب فعل الحب الفاضح هذا مع البيت وعجزى عن عدم بيعه لايدانيه إلا الوقوف أمام الله العلى القدير الكبير بذنوبنا الصغيرة نطلب المغفرة.

ومرقت من الباب المقفل بالقفل الكامن فوق الباب بالرزة والقفل الساكن فى خشب الباب والقفل الملصق خلف الباب.

دخلت وقد خلت الدار من كل شيء إلا الكراهية تركها الذين نهبوا البيت فى كل مكان، صور مخلوعة من براويزها وملقاة على الأرض وقد أكلتها الفئران، وشهادة البكالوريوس كذلك، ألقت الكراهية بكل شيء لتحتفظ بالزجاج والخشب ألقت الأجمل لتحتفظ بالقمامة، بحثت عن رائحة الأحباب، أشم فى ظلام البيت ورطوبة الجدران .

رفع عداد الماء والكهرباء ربما أخذتهم أمي صاحبتهما معها إلى الجبانة!!

على ألواح خشبية ربما كانت مكتبتي التي اختفت بكتبها وخشبها وكنت قد تركتها في البيت كما ترك أبي مكتبته التي تبقت بعد المصادرة، ولكن يبدو أن جمال عبدالناصر قد أتاح الثقافة للفئران فضاعت المكتبة بين الجهل والادعاء،

نمت على الألواح الخشبية كالنائم على المغسلة أبحث عن شيء في بيت أبي يرد الروح،

هل يليق بي أن أقول أنني بكيت وانسالت دموعي على وجهي وسلمت أمري إلى خالقي، وصرخت ((ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث اغفر ذنبي كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)).

كانت عروق الخشب الممتدة ما بين الحائط والحائط تغطيها ألواح الخشب اللوح البندق قد صارت أجسادا أبنوسية تتلوى وتتحرك متراقصة بفعل ماء المطر المتسلل من بين طين السقف والتارك بصمته، رسمه وسمته فوق المكان سيفا معلقا فوق رقابنا، وكأنه يعلن حضوره الفذ ونجاحه فيما فشلنا نحن فيه،

نمت مبحلقا في الظلام أتأمل علاقة الكتلة بالفراغ فيما يهيىء عقلي لي من تصاوير بعد أن دمس الليل وضاع آخر بصيص من الشارع.

كانت مساحات رهيبة من الأراضي القاحلة المحروقة الجرداء حتى من الحطام امتدت حتى التهمت نصف السماء عند ملتقى قوس السماء بالأرض في الأفق البعيد، ولا تلمح عينك ولكن ترى بوضوح قوى اللون الأزرق الملاصق للأرض ويعلوه اللون الأحمر وقد اشتعلت به السماء حريقاً ودخاناً يتلوى واقفاً بامتداد الكون والرؤية،

لاتلمح فى هذا الفراغ عود قمح، نخلة، شجرة، نبات، أى شىء يدل على أى شىء؟؟؟؟!!!

شكل من الكراهية المتجسدة والخوف المقبل.

هناك على كامل محيط دائرة وقوفى رؤوس تنبت من تحت اللون الأزرق مقتحمة فى تصميم وعزم أكيدين، تنمو الأرؤس فتصير قامات قريبة مجاميع من كل اتجاه كل مجموعة لها شكل واحد لكأنما توائم نبتت من الأرض!!،

كل مجموعة تسير مع بعضها وتحتل قطاعاً خاصاً بها،

مائة وأربعة وأربعون مجموعة فى محيط دائرة وقوفى لا فرق بين شاب وكهل كأنهم أبناء جيل واحد لذلك فالمرض صار بالنسبة لهم شىء فى ضمير النسيان وماضى من تراث الإنسان المزعج،

كذلك لم أستطع أن أميز بين الرجل والمرأة؟؟

كانوا كلهم يقتربون وينظرون إلىَّ ويبتسمون ابتسامة بلهاء من كل اتجاه كلما اتجهت وجدتهم صرخت من الرعب:

ـ هل أنا ملتقى الاختلاف أم ملتقى الاتفاق؟؟؟؟

مر فى خاطرى بسرعة البرق عبدالستار/ سلومة/ وعاطف عواد/ السكاكرة وكنت أرانى نائما على فخذ عائشة الخياطة والعم حفنى يتمتم بأوراده وست الناس وو .... يرددون خلف العم حفنى بينما أرى مشهدى يمر من أمامى وأنا أتامله.

صلاح والى ١٥ / ٤ / ١٩٩٩

صدر للمؤلف

١ ـ نقيق الضفدع رواية ١٩٨٨ الهيئةالمصرية العامة للكتاب

٢ ـ ليلة عاشوراء رواية ١٩٩٢ روايات الهلال اكتوبر ٩٢

٣ ـ عائشة الخياطة ط ١ رواية ١٩٩٦ مختارات فصول

ط ٢ رواية ٢٠٠٢ مكتبة الأسرة

٤ ـ كائنات هشة لليل رواية ٢٠٠١ أصوات أدبية هيئة قصور الثقافة



مطابع الأهرام بكورنيش النيل